عبد السلام البسيوني
asuhail53@hotmail.com

سلسلة: مكانك تحمدي: 5

# وقال نسوة

من طروحات الستات النخبويات الراقيات والشعبيات

## الإهداء

إلى العفائف في زمن الفتن

الحرائر زمن عبودية الشهوات

إلى المحصنات الغافلات المؤمنات

زمن تبجح الفسوق والمروق والاستباحة

إلى القانتات التائبات العابدات

وإلى أمهاتي أمهات المؤمنين..

وأمي العظيمة.. وأزواجي

مع كل الاحترام والحب

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

في حياة ابن آدم متناقضات عجيبة يتقلب المتأمل معها بين العجب والحيرة والإشفاق.

- فالمدخن (الحريقة) يرى ذلك حرية، و(مزاجًا) ويأبى بشدة أن يلفت نظرَه أحد، أو ينصحه أحد، أو يتحدث عن الحلال والحرام في ذلك أحد، ولا يسمع لطبيب عن أضرار الدخان ولو حلف له براس أبوقراط..
- والشاذ جنسيًّا يعتبر ما هو فيه من البلاء نوعًا من الانعتاق، وإثبات الذات، وتحدي الدنيا، والمتعة التامة التي لا نظير لها، رغم كونه – عبر التاريخ والجغرافيا والعلم، وعند البشر، وعند الحيوان – أمرًا شاذًّا، وغير سوي.. كما كانت تصنفه الجمعية النفسية الأمريكية قبل عقدين من الزمان.
- والغازيَّة – آسف الرقاصة – التي تتعرى وتتخلع أمام الأجانب، وتكشف كل ما لا يجوز ولا يليق، ترى ذلك فنًّا، وإبداعًا، وحرية، وتهاجم من يلومها، أو يعيب ما تفعل، وتصر أنها (ما بتعملش حاجة أي عيب، وأنها أشرف من الشرف.. يدوب من البيت للكباريه ومن الكباريه للبيت)!
- والتاجر الحرامي والمحتكر يصر على أن (التجارة شطارة) وأن (السوق كده) وأن من حقه أن يتصرف في الأسعار ما يشاء، ويمص دم الخلق ما يشاء، وينام مرتاح البال بينما الناس يكتوون بما يفرض عليهم من جشعه واتساع ذمته!
- والمسقف (آسف: أقصد المثقف) الببغاء الذي يردد ويجتر، وينقل لأمته ما لا يناسبها – دينًا أو تاريخًا أو واقعًا أو تقاليد – يصر أنه يحطم التابوهات، ويكسر

القيود، ويتجاوز الثوابت، ويتمرد على التخلف، وينير الطريق للأمة ويحدّث لها مستقبلها.. لا أعرف كيف!

رغم أن من هؤلاء المسقفين من أوقدوا البخور للملكية والإقطاع، ثم انتقلوا للناصرية والاشتراكية والقطاع العام، ثم لليبرالية والانفتاح والخصخصة، ثم للعولمة والأمركة، والتهويد والأسرلة.. ولو طالت بهم مدة، فسيستمرون في الانتقال من الضد للضد، من الأبيض للأسود، ومن الأحمر، للمخطط، للمثلث الوردي!

فيا للمهارة.. ويا للعجب!

وأخواتنا عدوات أنفسهن، وإخواننا أعداء المرأة مصرون إصرارًا غريبًا على نقل المسطرة من الآخرين، معتقدين أنهم أهدى سبيلًا، وأقوم قيلًا، وأبصر بالمرأة من خالق الرجل والمرأة.. تعالى وعز وجل.

ورؤوسهم وألف قديمة أن الإسلام ظلمها والليبرالية أنصفتها، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم وعائشة وخديجة كخة، في حين أن سارتر وسيمون دي بوفوار ومارلين مونرو ومادونا عسل.. وأنهم أحسن وأعلم وأعلى من الله تعالى وعز وجل..

ونقول لهم: يا هوه؟ مارلين هانم بنت الخواجة مونرو ماتت فطيس، وكانت سمعتها زي الهباب، ومادونا جايبة كم بطن من الحرام، مادونا بتاعة إيروتيكا، والست سيمون كانت عايشة في الحرام طول عمرها.

تصرخ فيهم: يا هوه، ليس في الغرب بيوت ولا أسر ولا أبناء ولا زواج، ولا كرامة للمرأة.

نرفع أصواتنا بذلك فيصرخون فينا بالتلفزيونات والإذاعات والمجلات والميكروفونات والكلَبشات: بس يا متخلفين.. دي مادونا أشرف من ميت منقبة.

وكيف ترد على هؤلاء المسقفين؟

كيف ترد على من يملك إذاعات وتلفزيونات طوفانًا من المجلات والنشرات والمواقع الرسمية والدعائية والأمنية؟

كيف تناقش من أصم أذنيه، وأغلق عقله؛ إلا عن مورد واحد، ولو كان مليئًا بالعكارة، والوحل، والفضلات؟

وبعد..

فهذه الورقات تتمة لسلسلة من الكتب عنونتها ب"مكانك تحمدي" وبدأتها بكتاب "تجفيف منابع الأنوثة" و"ماذا يريدون من المرأة؟" و"تفكيك الأسرة: الخطر القادم" و"الغيرة: خلق المؤمن النبيل" هذا خامسها: "وقال نسوة" أتناول فيه بعض المقولات النسائية السائرة، على ألسنة الصالحات، أو داعيات الاغتراب، أو العاميات من النساء، أتأملها، وأقلبها على وجوهها، وأستخرج منها ما أرجو أن يستفيد منه قارئي الكريم..

فإن وجدتم خيرًا فأسألكم بالله الذي لا إله غيره الدعاء بالجنة، وإن وجدتم تقصيرًا فأسألكم العفو (والدعاء بالجنة برضه)..

أسأل الله العظيم ربي بحوله وطوله، أن يعز هذه الأمة، ويرخي عليها ستور الأمن والعافية، وأن يوفق كل ذي مسؤولية لما فيه نفع البلاد والعباد، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا..

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.. والحمد لله رب العالمين

عبد السلام البسيوني

الدوحة في 9/ 9/ 2003

الموافق 12/ 7/ 1424

المرأة العربية – في مجملها – امرأة خيبانة.. تدور بين القمع والاستدراج.. الجهل أو الجاهلية.. العجز وقلة الفاعلية..

لأنها ببساطة إما تعيش على عادات وتقاليد لا تعرف الإسلام، ولا تطبقه، ولا تتصوره تصورًا صحيحًا.. أو تقتات على ال (Junk Food) أو على الوجبات العقلية المستوردة التي هي زبالة اللحوم والطعام.. أقصد زبالة الأفكار والتصورات.. التي فُصّلت لشخصية غير شخصيتها، ونبتت في بيئة غير بيئتها، وحال غير حالها.

ووالله لا ألومها إطلاقًا لو كانت الأفكار المستوردة منسجمة مع نشأتها.. وقيمها.. وطبيعتها النفسية والحضارية والمعيشية..

لكنها تستورد – أو يستورد لها – كل غريب عجيب!

وعلى فكرة.. وقبل أن أسترسل.. أقرر واعيًا – وأنا في تمام عقلي – أن المرأة المسلمة المعاصرة مهضومة مظلومة مغموطة مقموعة.. وتحتاج إلى كثير من التطوير والتحرير والتنوير..

أعتقد هذا وألقى الله تعالى عليه، ولكن ليس على طريقة غادة السمان، وإيناس الدغيدي، ومجلة البلاي بوي..

فلا القمع والكبت والقهر والتقاليد غير الشرعية مفيدة.. ولا الانفتاح الأهوج المصادم للعقل والشرع والقيم بمفيد.. وكلا طرفي قصد الأمور هباب!

لا يصح أن تعيش تحت مطارق العضْل، والإجبار على ابن العم أو الرجل الذي في خيال أبيها – فقط – ولا التجهيل، ولا التسطيح، ولا التجاهل والنفي..

كما لا يصح أن نلبسها ثيابًا واسعة جدًّا تبدو فيها كالبلهاء، ثم نقنعها أنها أشيك واحدة في الدنيا.. ولا أن نجعلها نسير عارية متبذلة، وندخل في روعها أنها هكذا محترمة ومتنورة وتقدمية.. ولا أن نخلع عنها ثيابها كلها ونقول لها: أنت هكذا ما شاء

**الله على الفطرة، وقد حققتِ من المكاسب ما عجز عنه الأولون، والآخرون، واللي بعد مليون سنة!**

**ليس منطقيًّا أن نلغي أمومتها، ونصادر أنوثتها، ونضيع شبابها تحت دعاوى وعادات ما أنزل الله بها من سلطان..**

**كما أنه ليس عقلًا أن نجعلها على حل شعرها.. تذوق الحرام والضنك، وتغير الرجال كما تغير جواربها، أو تنوع علاقاتها كما تنوع وجباتها..**

**هذا ليس إنسانيًّا.. ولا حضاريًّا.. ولا عقليًّا.. ولا إسلاميًّا..**

**بل هو (خَيّة) أو مطب أو ورطة يضع فيها أعداء المرأة المرأة.. وخصوم الأنوثة الأنوثة!**

**وأعتقد جازمًا أن آدميتك يا حواء.. يا بنتي وأختي وزوجتي وقريبتي.. لا تكتمل ولن تكون محترمة إلا إذا هربت من تطرفين ذميمين إلى الوسط الكريم الحميد القويم:**

**لن تكتمل ولن تكون محترمة إلا إذا نلت حقوقك في الدنيا، وحافظت على أسباب العافية والنجاة في الآخرة!**

**لن تكون آدميتك كاملة أيتها المرأة إلا إذا علموك.. وأكرموك.. وطوروك، وخيروك، واستمعوا لك، وأعطوك الفرصة لتكوني أنت، ولتبدعي وتعطي..**

**ولن تكون آدميتك كاملة إلا إذا بقيت – مع هذا – أنثى بحق، وزوجًا بحق، وأمًّا بحق،**

**وقبل ذلك: مسلمة عفيفة طاهرة بحق.**

**وخلي عنك الكلام المزوق، والسم في العسل..**

**واطرحي كلام من يريدون أن يطرحوك في جهنم الدنيا قبل جهنم الآخرة..**

**والمدخل الأول والأهم عندي أن تقرئي القرآن صح.. وتعرفي السنة صح.. وتكوني مسلمة السلوك صح..**

**فإذا فعلتِ ضمنت لك سعادة الدارين؛ بضمانة الله تبارك وتعالى الذي لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى.**

وإذا جمدت على عاداتك التعيسة وتقاليد أهلك البالية فالله يعينك على ما أنت فيه..

وإذا اغتررت وانسقت وراء تجار الجسد، ومنتجي حبوب منع الحمل، والعوازل الرجالية، ومافيات الرق الأبيض، فأبشري بالضنك في الحياة، ثم قابليني وشوفي فين هايشرف المستبيحون والمتطاولون والماجنون والمدلسون صناع الأقنعة!

إنك شيء عظيم يا بنت.. شيء ضخم يا امرأة.. إنك كيان كريم.. شرفه الله تعالى وأعلاه وصانه.. وجعله مساويًا لنصف الدين؛ كما أكرر كثيًرا..

هل تستوعبين هذه الجملة؟ هل تقدرينها حق قدرها؟

لا تصدقي أنك نصف الدنيا كما يزعمون.. فأنت أكبر وأهم وأعظم.. أنت نصف الدين.. نصف إيش؟ منتبهة أنت يا كريمة؟ أنت نصف الدين.. والجهاد والعبادات والأخلاق والمعاملات نصفه الآخر..

هذا ليس كلامي.. الصالحين الأخيار، كما ورد في الآثار: (من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه)!

واضح يا غالية؟

شطر دينه.. نصفه.. وهل وضعك الأدعياء في منزلة أعلى من هذه؟

إنك تساوين الصلاة والصيام والحج والبر ومكارم الأخلاق وأشياء كثيرة.. لو اتقيت الله، وأحسنت التبعل لزوجك.. وأتقنت دور الأنثى والمرأة والأم والزوجة.. في إطار من الفضيلة والاستنارة وتقوى الله..

هل سمعت عن وافدة النساء يا بنتي؟

هي زعيمة أول وفد نسائي يعرفه العرب..

قبل هدى شعراوي وصفية قرعاوي ونوال جرجاوي..

هل تعرفين قصتها؟

لقد قام النساء زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحركة جريئة (بمقاييس هذا العصر) واخترن امرأة ممثلة عنهن، متحدثة بألسنتهن، معبرة عن مطالبهن، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحدثه بما تريد ويردن.. لكن في كمال وحشمة، وعقل ورقة أثارت إعجاب سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.. مش زي النسوان

إياهن اللي بعضلات ومجانص.. عضلات في ألسنتهن وعقولهن وأبدانهن.. واسمعي معي:

أتت أسماء بنت يزيد بن السكن النبي صلى الله عليه وسلم – وهو بين أصحابه – فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ إني وافدة النساء إليك، وأعلم – نفسي لك الفداء – أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا، أو لم تسمع، إلا وهي على مثل رأيي.

إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات.

قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم.

وإنكم – معاشر الرجال – فضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله.

وإن الرجل منكم إذا أخرج حاجًّا أو معتمرًا ومرابطًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم..

فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال:

هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟

التفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تَبعّل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله.

فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارًا. رواه البيهقي في شعب الإيمان، والترغيب والترهيب بسند فيه ضعف.

ومش هاكمل.. افهميها انت يا بنتي.. الله يسترك في الدارين.

## يا قادر يا فاجر

تعالى الله وجل وعز..

هل ربنا تبارك وتعالى (غلطان)؟!

هل نحن أعلم منه وأخبر وأعظم إحاطة؟

ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟

أليس هو سبحانه الذي خلقنا.. ويعلم حالنا، وحاجاتنا، وما توسوس به أنفسنا، وما تقوم به حياتنا، وما يغمرنا بالسعادة أو الغم.. والفرح أو الهم..

من لم يعتقد ذلك فليبشر.. ولير النتائج المفزعة المهولة التي نراها ونحسها ونعيشها..

ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا..

وهل هناك ضنك، وهم، وغم، أكثر مما نعيش ونرى ونسمع؟

**30** مليون أنثى في العالم العربي وحده لم يتزوجن!

**72 %** من أوانس تونس عوانس؟ قريب من نصف بنات السعودية؟

ستة ملايين من المصريات؟ نصف السوريات؟ والخليجيات؟ وال... ما هذا؟

ولماذا في بناتنا فقط؟

ألأنهن عفائف طواهر لا يعرفن سبل الفاحشة، ولا وسائل تصريف الشهوة؟ ما ذنبهن؟ وإلى متى يحتملن في ظل أجواء إلهاب المشاعر، وإيقاد الغرائز، وإسعار الشهوات؟

إلى متى يعيش قريب من **30** مليون بنت عربية بدون زواج لسبب ما؟ ولماذا؟

أليس هذا – على الإطلاق – أعظم خطر تتعرض له الأمة واستقرارها وكيانها وعفافها؟

**الله تعالى وضع لنا شرطًا وجزاء؛ فإذا لم نفعل ما أمرنا به واشترطه علينا، وجبت علينا العقوبة، واستحققنا الجزاء..**

***[ إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه؛***
***إلا تفعلوه تكن في الأرض وفساد عريض ]***

**إن جاءكم ذو الدين، والخلق الكريم فلا تردوه، ويسروا له.. وإذا لم تفعلوا فأبشروا بفتن متلاحقة، وفساد اجتماعي، وخلقي، ونفسي، واجتماعي..**

**ولقد خالفنا الشرط.. فاستحققنا العقوبة والجزاء..**

**وهل هناك فتنة أعظم من 30 مليون بنت.. وملايين البيوت.. وملايين الآباء والأمهات الذين لا تستريح جنوبهم قلقًا على بناتهم، ولا ينامون الليل بسبب عدم زواجهن؟**

**والغريب أن يكون هؤلاء الآباء من أكبر أسباب البلاء..**

**وأن تكون النساء وما قرّ في عقولهن من التلفزيون – الله يهديه – من عوامل زرع العنوسة، والتمكين لها، ومضاعفة أعدادها، في متواليات ستبقى في اضطراد حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا..**

**واسمحوا لي بسؤال: متى كان المجتمع الإسلامي والعربي يشكو من هذه الظاهرة؟**

**هل كانت موجودة فاشية زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أو أيام الراشدين، أو دول الإسلام الكبرى؟**

**هل حصل أن ظهر هذا (الوباء الاجتماعي) بمثل هذه الشراسة والعنف في غير عصرنا الكنود هذا؟**

**لا أعتقد.. بل إن الشريعة كانت تنهى عن خطبة المرأة أثناء عدتها؛ لأن قومها لم يكونوا ليتركوها وحيدة، دون رجل يؤويها، وبيت يحتويها.. (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء، أو أكننتم في أنفسكم، علم الله أنكم ستذكرونهن؛ ولكن لا تواعدوهن سرًّا؛ إلاّ أن تقولوا قولًا معروفًا) البقرة:235.**

لكننا في هذا العصر قلنا ببجاحة: يا رب لا تتدخل في حياتنا.. واحنا أحرار!

قلنا: يا رب: نحن أعلم منك بأمور دنيانا – وأمور آخرتنا كمان – فلا داعي لأوامر رسولك صلى الله عليه وسلم، وكفاية علينا نوال السعداوي وشلّتها؛ لأنهن أعلم بالصواب منك – سبحانك – ومن رسولك..

قلنا يا رب إن حكمك في تشريع التعدد حكم ظالم، مهين، ظلامي، وفيه انتقاص لحقوق المرأة، وافتئات عليها، وإهانة لآدميتها..

قلنا إن حواء هي التي ينبغي أن تقود الدنيا، وأن تتحكم في مقاليد الأمور، فهي أقدر على إدارة دفات العلم والتكنولوجيا، والأدب والفن، والتشريع والفقه، والتربية والطب، والاقتصاد والسياسة.. وأن على الرجل أن يتقن فن تقشير البصل، وعمل العجة، وتغيير البامبر، ووضع الميك أب، وأن يبحث له عن فرصة أخرى؛ لأن زمنه ولى، وسلطته باي باي..

صحيح أننا لم نقلها واضحة، لأننا لا نزال نطمع في عطائك، لكننا نقولها غالبا بلسان الحال.. وأحيانا بألسنة وقاحٍ أشحةٍ على الخير..

الآباء يقتلون بناتهم بشروطهم، والمجتمع يجهز عليهن بشروطه الجائرة، وتقاليده المتعسفة

والتلفاز يقوم بدور إبليس.. فهو يصعّب الحلال، وييسر الحرام.. يزين الباطل ويجمله، ويسوّئ الجمال ويقبحه.. ونحن نقبل ما يقول؛ لأنه براق.. جذاب.. جميل.. يتقن وضع السم في العسل، ومزج الحق بالباطل!

لكن حتى بالعين المجردة.. وفي كل الدنيا.. لماذا لا يجري هذا إلا بين قطاع خاص من المسلمين هم المسلمون السنة وحدهم.. أليس هذا عجيبًا؟

الشيعة عندهم المتعة التي لا تحوج امرأة للانتظار..

النصارى في قضية الشهوة على عينك يا فاجر.. لا حدود.. ولا ممنوعات.. حتى نكاح المحارم.. والشواذ!

واليهود: ما توصيش.. فهم أساتذة توظيف الجنس في كل غرض شريف أو خبيث.

والديانات الوثنية لا تعرف – غالبا – شيئًا اسمه العفة والعورة والعرض والشرف..

لم يبق إذن إلا المسلمون السنة.. هم الذين تبقى المرأة فيهم عانسًا حتى يتآكل شبابها، ويتكلس جسمها، وتتسرب أنوثتها ورغبتها وحاجتها..

المشكلة أن المجتمع كله اختُرق، عامته وخاصته.. حتى الإسلاميون باتوا – أو على الأقل نساؤهم – يستنكفون أشياء من شرع الله تعالى في أمر الزواج والأسرة – من جهة الزواج المبكر، والتعدد وكثرة الذرية – حتى ابتلى الله الأمة بجيوشٍ وملايين مُمَلْينة من المطلقات، والعوانس، والمخلوعات، والمعلقات..

ومع هذا فلا يزال الذين ينشرون الداء في الأمة مصرين على مواقفهم ودعواتهم..

ونصرخ فيهم: يا ناس هذه ثمار دعواتكم.. مفيش فايدة!

يا عقلاء.. الله تعالى أوعدكم بالفتنة في الأرض والفساد العريض.. ولا مجيب!

برضه كلام ربنا غلط.. وكلام الست نوال صح!

وصارت عندنا أدبيات غاية في الغرابة والعقم وسوء الفهم..

الرجل الذي يريد أن يتزوج بثانية في مجتمعاتنا العظيمة يا ويله ويا سواد ليله.. لأنه: يا قادر يا فاجر/ جنازته ولا جوازته/ يزني ولا يتجوزش عليا/ عينه زايغة وبتاع ستات/..... إلخ

أهذا معقول؟

أمعقول أن تُسرّب امرأة لزوجها المنحل نساءً.. شرط ألا يتزوج غيرها؟ وأن تغمض عينيها عن أفعاله مع الخادمة حتى تكسر عينه؟ أعرف حالة كهذه، صدقوني!

معقول أن تخرب امرأة بيتها بنفسها، وتصر على الخروج من البيت، وترك (الجمل بما حمل) لأن زوجها عفيف، طلب الحلال، وبحث عنه؟ أعرف..

معقول أن تساعدها أمها وخالتها وعمتها على تخريب بيتها بيدها وأيدي فاعلات الخير؟ أعرف وأعرف..

الغريب في المرأة العربية المتناقضة أنها يمكن أن تجتهد وتفتش لأبيها وأخيها، وخالها وعمها، وصديق زوجها – وحتى للغريب – عن عروس ثانية بنت حلال.. أما زوجها فهو المجرم الخائن الغادر الفاجر إذا فكر أو لاح ذلك بخاطره..

والأغرب أنها هي نفسها يمكن أن تكون (ثانية) تتزوج رجلًا له امرأة.. ولا مشكلة.. لكن أن يتزوج غيرها؟ نهار أهله أشد سوادًا من قرن الخروب!

وأغرب من هذا أن صديقي المتزوج من زوجة أجنبية مسلمة يحكي لي أنها اشتكت له وحدتها قائلة: إيش رأيك تتزوج واحدة ثانية، تقيم معي حتى تؤنس وحدتي..

والله سمعتها بودني أكثر من خمس مرات.. تصوروا؟

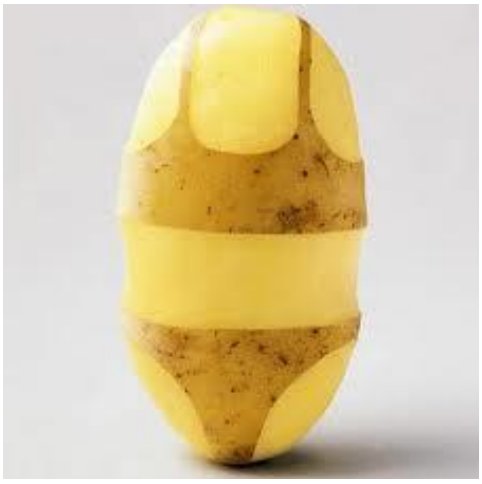

أعوذ بالله من التياسة والهيافة وقلة العقل!

وأعوذ بالله من انقلاب الحق باطلًا.. وتخفّي الباطل بثوب الحق!

أعوذ بالله من عمى البصيرة.. حين يستحلي الإنسان رائحة الهباب والزفت، ويكره رائحة الزهر والعطر..

حين ينفر من الحلال و(يموت) في الحرام!

إن هذا *نوع من العذاب* الذي يعيشه ابن آدم، وإن كان لا يدرك ذلك أو ينتبه له، ولقد حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن أناس في النار.. أمامهم لحم منتن (مقرف) الرائحة.. وآخر طيب نظيف نقي شهي..

ولعمى بصائرهم، وزيادة في العقوبة والنكال، يتركون هذا الشهي النقي، ليأكلوا النتن العفن الخبيث الوبيل.. وأعوذ بالله من حالهم، وحال أهل النار أجمعين..

تصور قارئي العزيز أن كثيرين باتوا يعيشون هذه الحالة الجهنمية؛ مستمتعين فرحين!

تصور أن كثيرين يعتبرون التستر خيبة وتخلفًا.. والتعري أناقة وشياكة وتظرفًا!

تقول: عادي؟ لا بأس، لكن هل تعلم أن هذا هو ما أراده عدوك إبليس بالضبط.. منذ حاول تعرية أبيك وأمك آدم وحواء عليهما السلام في الجنة؟

لقد نجح هناك، وعمل بدأب، ولم يهدأ له بال حتى (بدت لهما سوآتهما) وجعلهما يرتبكان و(يخصفان عليهما من ورق الجنة) لستر ما انكشف، ومواراة ما افتضح، ثم استمر لعنه الله في مهمته الخبيثة عبر التاريخ..

لدرجة أنه أقنع بعض (الأذكياء) أن التعري عبادة.. وتطهر.. وانخلاع من الثياب التي عُصي الله فيها..

وكان هذا في الجاهليات كلها قديمها وحديثها..

حين أقنع إبليس عليه لعائن الله الرجال العرب الديوك، والنساء الحرائر العفائف أن يطوفوا بالكعبة عراة، يظنون أنهم بذلك يتطهرون، وإلى الله زلفى يتقربون..

وكانت السيدة المحترمة الحيية منهم تدور حوله الكعبة.. وهي تقول للناس: ما تبصوش.. وفي اللي يبان ما تفكروش:

اليوم يبدو بعضُه أو كلُّهُ وما بدا منه فلا أُحِلهُ

ولا تزال لذلك بقايا عند بعض النساء العاميات اللاتي إذا أرادت إحداهن أن تدعو على أحد بالويل والثبور، عرت رأسها، أو كشفت صدرها، وأخذت تدعو من أعماق نفسها.. كأن هذا سيجعل الدعاء مجابًا غير مردود..

ومثل ذلك من تختار الظلام – إذا أرادت الدعاء – لتعري شيئًا من بدنها وتدعو، كأن ذلك من شروط إجابة الدعاء، وقبول الرجاء، هذا غير الشبشبة، وحلب النجوم!

بل وأكثر من هذا.. ولا تندهش..

لقد أقنع إبليس لعنه الله تعالى بعض الكائنات أن (الزنا) يمكن أن يكون قربة لله.. وأن (البغاء) يمكن أن يفعله مرتكبه طاعة لمولاه.. وأن الزانية مؤمنة قانتة تائبة عابدة!

وقد قامت على حوافّ بعض المعابد والأديرة منذ الديانة الفرعونية – ولا يزال ذلك في بعض الوثنيات والملل المعاصرة – بيوت لما يسمى البغاء المقدس، حيث تهب بعض النساء أجسادهن خدمة ل (ضيوف الرب)! وقد كتب في ذلك عدد من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا دراسات كثيرة.. فانظر كتابنا: الألوهية في العقائد الشعبية.

كما أنه لا يخفى أن بعض العقائد الشيطانية والتحررية – كالهيبيين والبنكس وملتقيات المراهقين والشواذ – أقامت تدينها على الاستباحة المطلقة، وما يسمونه تدنيس المقدسات والعياذ بالله رب العالمين؛ معتقدين بذلك أنهم يحررون أنفسهم، ويعيشون حياتهم، ويقدمون للبشرية النور والحرية والتطور، ويوجهونها نحو الكمال..

بل إن ديانات وكنائس قامت لتحقيق هذا المعنى.. وظهر (قديسون) يدعون إلى ديانات مفتوحة لا تعرف حدًّا للعلاقة بين الرجل والمرأة، مثل القديس سيمون (1760

– 1835) الذي ألف كتابه "النصرانية الجديدة" داعيًا إلى ما زعمه النصرانية الحقة التي تنادي بوضع حد للزواج (باعتباره تجارة مخزية، وبغاء مشروعًا)!

كما ظهرت كذلك الطائفة الأونيدية (طائفة شيوعيي الإنجيل أو النصرانية الكمالية – Perfectionests) التي تدعو لأن يتحرر الشخص من كل خطيئة تتحقق فيها العودة الثانية للمسيح عليه السلام..

لكن إزاي؟

كان زعيمها (جون همفري نويس) يرفض الزواج بصورته الفطرية الأحادية، ويمارس هو وأتباعه المشاعية الجنسية؛ بحيث تكون كل امرأة في المجتمع الأونيدي لكل رجل فيه، وكل رجل زوج لكل امرأة! تخيلوا..

زنا بلا حدود، تحت مسمى الكمالية والتدين!

ولن أستطرد في ذلك – وعندي الكثير – لكن حتى في عصرنا هذا صارت الموضة هي استطابة الخبيث وأكل اللحم المنتن.. مع إلباس ذلك ثوب الدين؛ حتى إن أسقف إدنبره رئيس الكنيسة الأنجليكانية في أسكتلنده يرى – في تصريح علني له – أن العلاقة خارج الزواج ليست خطيئة، وأن الرجل ولد ليكون له العديد من العشيقات، وأن على الكنيسة أن تدرك أن الإنسان لم يخلق ليكون وفيًّا طول حياته!

ومن الغريب الذي لاحظته خلال القرن القريب الذي عاصرت نصفه تقريبًا.. كيف يتدرج الباطل في التقنع والتخفي حتى يلبس ثوب الحق.. وكيف ينجح في إلباس الحق ثوب الباطل.. بمنتهى النعومة والهدوء وطول البال!

لقد كان الناس في بلادي يستنكفون أن تبدو المرأة سافرة برزة.. ولم تجترئ على ذلك إلا نخبة من (الهوانم) التركيات والأرمنيات وبنات الأجانب.. ممن فتحن الصالونات لاستقبال الرجال ومجالستهم.. وأحدثن ثورة اجتماعية لا يزال دويها يجلجل في الدنيا حتى الآن، وربما إلى عقود قادمة.. بعد أن بدأ بناتنا يقلدنهن حذو الزلة بالزلة!

وآنذاك استقبل المصريون الأمر بالاستنكار والرفض.. حتى شاع على ألسنتهم أن فلانة: (مش كويسة.. دي وشها مكشوف)..

ومع مرور الأيام تحول اللفظ من ظاهره إلى معنىً مجازي، يشار به إلى المرأة الوقاح الجريئة التي لا تستحي، ولا تتردد.. ليقول الناس عنها إن (وشها مكشوف)!

ثم مرت الأيام، ولم يعد كشف الوجه هو القضية، ولا حتى العنق والصدر.. ليتم إقناع كثيرين.. من خلال الأفلام والتلفزيون بالتخفيف أكثر وأكثر وأكثر وأكثر..

وكانت الأفلام في الخمسينيات والستينيات – بسبب ودون سبب – تلمع الرقاصة، والمرأة لابسة البكيني، والميكرو جيب، ليجنن الشباب ويطرن عقولهم..

ثم لينتقل الأمر من المدن الكبيرة إلى المدن الصغيرة..

ولأرى وأسمع عن بنات في الأرياف.. ماشيات عاريات البطن والظهر، وقد (تقمطن) في بنطال ضيق يكشف العورة، وقميص قصير جريء الفتحات..

ولتنتهي مرحلة: اللي وشها مكشوف إلى فهم ثوري جديد شعاره: اللي يبان منا.. زكا عننا! يعنى هاتدخل الجنة لما تتعرى!

لقد فاجأني أحد أصدقائي رحمه الله حين سمعته يقول هذه الكلمة، فانتفضت على التليفون:

- وَلا يا فرسيسي.. انت بتقول إيه؟
- فرد ضاحكًا: والله البنات بيقولوا كدا؟
- وصرخت ملتاعًا: إنا لله وإنا إليه راجعون!
- يعني مش كفاية انهم يتعرّوا.. ويكشفوا عوراتهم ببجاحة؟
- يعني عايزين يخلوه شرعي كمان.. ويجعلوه شكل من أشكال زكاة البدن؟
- فقال: هو ما سمعت!

وتأكدت لي مهارة إبليس عليه لعائن الله، ونجاحه الباهر، في تحويل الأبيض أسود، والأسود المهبب إلى ناصع البياض..

وتأكد لي أن الرجيم لن يهدأ باله حتى يجعل أهل الأرض (بلابيص) يتهارجون تهارج الحمر كما قال سيدي المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم..

وتأكد لي أن من البشر من تنقلب فطرهم، وتفسد براءتهم حتى يستحبوا المنتن الخبيث على الطيب اللذيذ..

**ويفضلوا المتعرية على المستورة..**

**ويستبدلوا بالعفيفة المستبيحة!**

**وتأكد لي أننا نعيش في أنواع من العذاب والضنك، عُجلت لنا – بذنوبنا – في الدنيا، زيادة على ما ينتظر في الآخرة..**

**ونعوذ بالله من النار!**

## أجوّزك سِيد سِيدُه!

لإبليس عليه لعائن الله مقاصده ووسائله، التي يستخدمها ليبر قسمه الذي باء به – بعزة الله – أن يرمي بني آدم عليه السلام في قعر جهنم.. وهو الذي أخرج أبانا عليه السلام من الجنة – دون قسم – فكيف به معنا وقد حلف علينا؟!

*** ومن وسائله لعنه الله للوفاء بقسمه: القيام بدور القواد.. فهو يدور على بني آدم يغويهم بالضلال.. ويغريهم بالفاحشة.. ويوفق الرؤوس في الحرام.. ويستكثر – من المغفلين – بأولاد الزنا والشواذ والمأبونين والسحاقيات وأصحاب المشاعية الجنسية، والزنا الجماعي!

عجبت لإبليس من تيههِ ... من سوء ما أظهر من نيتهْ
تاه على آدم في سجدةٍ ... وصار قوادًا لذريته

*** ومن وسائله التحريش بين بني آدم، وتحويلهم إلى ثيران تتصارع، وضباع تتغادر، ونهاشين للحم، كأي وحش عادٍ، أو سبع فاتك..

وهو يركب ظهور الأنجلو سكسون بني الأصفر – من هذه النقطة – ليقاتلوا الدنيا كلها، ويقلقوا أمن أهل المسكونة؛ تحت دعوى حفظ الأمن، وليستبيحوا الحقوق؛ تحت مسمى حفظ الحقوق، ويبيدوا الإنسان؛ تحت دعوى حماية الإنسان!

*** ومن وسائله هدم الأسر، وتخريبها، وتحويل من فيها إلى أعداء: يتشاتمون، ويتهاجرون، ويتربص بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضًا! فيحرش الرجل بصاحبه، والابن بأبيه، والأخ بأخيه:

وأحيانًا على بكرٍ أخينا ... إذا لم نجد إلا أخانا!

*** وألذ العداوات عنده ما كان بين رجل وزوجته: فقُرّة عينه، ومنى قلبه، ويوم عيده أن يدق إسفينًا ساخنًا بين زوجين متحابين، لتستحيل المحبة بغضاء، والانسجام نفورًا، والمودة والرحمة همًّا وغمًّا..

ما علينا من إبليس.. ولا أعوانه من الجنة المردة..

إنما يعنيني هنا أباليس البشر، الذين يقومون بدور الوكيل أو النائب عنه.. و(بكل ممنونية) وبغير طلب، يؤدون الأدوار الإبليسية ذاتها، ويخدمونه سعداء، شاكرة قلوبهم.. طيبة نفوسهم؛ إذ يحسون أنهم بذلك ذوو شأن وتأثير، ولو إبليسيًّا حقيرًا!

* فمن البشر قوادون.. يتفننون في إشاعة الفاحشة والعهر في الذين آمنوا، وفي الذين نافقوا، والذين كفروا.. يبذلون المال والجهد والوقت في تزيين المنكر، واستباحة الخنا، وتزويق الفحش والدياثة!

* ومنهم نمامون، لا يريحهم أكثر من أن يروا الوجوه متمعرة، والأنوف متورمة، والقلوب مشتعلة محمرّة. ولا يطربهم صوت ألذ في آذانهم من الصراخ والعويل، والقذف والفحش، والمنكر من القول والزور..

* ومنهم غدارون حرباويون.. يتقنون فن الابتسام في الوجه، وإظهار المودة واللطف، ويبرعون أشد البراعة في مضغ اللحم البشري، والطعن في الظهر..

* ومنهم معوِّقون.. يثنون أهل الخير عن قصودهم.. والمبادرين بالمعروف عن نياتهم، فلا هم يعملون المعروف، ولا هم يدعون للمعروف أهل المعروف!

* ومنهم مفسدون.. يتفننون في إجابة إبليسهم النفسي: (والله ما تركته حتى فرقت بينه وبين زوجه) وكأنما تعجبه قدرته على إيقاع العداوة والبغضاء، وتطربه أصوات المناقرات والمشاحنات.. ورمي شنط الملابس على العتبات؛ مصحوبة بالكلمات التليدة: (اخفي في ستين داهية/ انقلعي/ غوري/ اتسهلي/ انت طالق طالق طالق/ روحي على امك)... إلخ هذه المناحة المؤلمة.

وما علينا من هذه الأصناف أيضًا.. فموضوعي صنف يقوم بالمهمة نفسها.. رغم أنه يؤذي (كالبغل المسعور) نفسه بنفسه، ويقطع بيده لحمه ورحمه..

- إنه الأب الأهوج المتخلف، الذي تأتيه ابنته باكية؛ لأن زوجها المجرم العتل الزنيم (لم يفسحها) أو لم يشتر لها آيس كريم.. فيصرخ صرخة عنترية مدوية:

اقعدي.. والله ما نتي راجعاله.. وفيها إيه لما تسيبيه من غير طبخ لمدة شهرين؟ احنا جوزناكي ليه علشان تخدميه، هوّ موش عارف انتي بنت مين؟

* وإنها الأم الحمقاء التي تهتف في تورم مشابه: ارمي لي عياله.. وسيبك منه.. أنا أجوزك سيد سيده!

وكلما سعى ساع بالصلح، وإخزاء الشيطان.. تمادى عنتر في غلوائه.. وأصرت الأم المباركة على أنها تملك صفوفًا صفوفًا من ماركة (سيد سيده) واقفين على الباب، في انتظار إشارة من الهانم الموفقة.. التي لا هي هانم ولا موفقة!

وتقتنع الزوجة البلهاء أنها بنت (أبي زيد الهلالي) وأن أمها ستزوجها برجل ولا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

ويتمادى الجميع في مظاهر الكبر.. والتعالى.. والنفخ في سَحْر البنت المسكينة.. ويأبى زوجها أن ينزل عن كرامته وقوامته لأسرة حمقاء.. و..

وينهدم المنزل.. وتبقى المحروسة أيِّما..

تتمنى أن تشم رائحة زوج..

تجن لأن تلمس جلد رجل..

أن تسمع كلمة حب رقيقة..

وهيهات هيهات لما وعدت الأم.. ولما (تعنترَ) أبو زيد الواهم المغرور!

وربما تشرد بذلك صبية.. وتحيرت صبايا.. وفقد الجميع راحة البال.. واجتماع الشمل.. والمودة والرحمة..

طبعًا ليس الملام على الآيس كريم، أو على الفسح، ولا على الطبيخ المحترق.. إنما الحكاية كامنة في عقلية الأب والأم.. اللذين اختارا أن يقوما بدور إبليس، في التحريش والتفريق والوسوسة.

وبدلا من أن تُقنع الأم (المحروسة ابنتها) بأن الحياة الزوجية تقوم على الفضل لا العدل، والمسامحة لا المشاحة، والعطاء والبذل، وإنكار الذات، تهمس في أذن ابنتها بفحيح قبيح:

= ارمي له ولاده في ستميت داهية!

= دا ألف واحد يتمنوك!

= دا انا أجوزك سيد سيده!

= يا مآمنة للرجال.. يا مآمنة للمَية في الغربال!

= قصقصي ريشه لا يطير منك!

= الرجالة مالهومش أمان!

= ما حنا جبنا عيال.. يعني عملوا لنا إيه؟!

= ما حدّش هاينفعك.. ما فيش حد في الزمان دا بينفع حد!

ويستمر مونولوج الفحيح والوسوسة، ودق الأسافين، والتحريش بين المرأة وزوجها المسكين، حتى تتقطع العرى، وتنحل الروابط، وينهدم البيت..

وتبقى البنت المسكينة – التي وقعت ضحية غرور الأب ووسوسة الأم – يأكلها القهر والوحدة، والشوق والحاجة، والأمومة والحياة الزوجية..

وتمر السنون، ويفشل (عنتر) في إثبات أنها (بنت مين).. وتعجز الأم أن تزوجها (سيد سيده) ويقهقه إبليس لنجاحه الباهر في تقويض البيت.. ويذهب إلى زعيمه الرجيم فرحًا فخورًا بإنجازه الكبير الخطير: (.. والله ما تركته حتى فرقت بينه وبين زوجه)! وليربت إبليس الأكبر على رأسه قائلًا: انت اللي فيهم [أنت أنت].

فرحًا بحماقة الأب و(هيافة) الأم.. فخورًا بما جنى على المجتمع كله..

فهل تدرك بعض الأمهات ذلك؟

هل ينتبه بعض الآباء؟

هل يصحو مندوبو إبليس الرجيم ووكلاؤه؟

أم يصرون على أن يدفع أحبتهم الثمن؟!

هل نحن منتهون؟! اللهم احفظ بيوتنا يا كريم!

## أحدث النظريات في الحب:

= دا الحب بين الناس الله محلّله (الإمام الأعظم فريد الأطرش).

= دا العشق حرام حرام والله (مجمع الفقه في فرقة الموسيقى العربية).

ذنبك إيه؟ ذنبك بحبك/ هوّ بعد الحب ذنب؟! (الفقيهة المجتهدة القلاوونية جانيت فيغالي الشهيرة بصباح)!

= حبّني أدّ ما تئدر يا حبيب الألب (طبعا حبيب القلب، وليس حبيب جبال الألب).

= اللي ما بيعشق وبيسهر لَشُو حياتُو؟! (الجمعية العربية لدعاة الانتحار).

= مش قادرة أصبر مش قادرة – أنا ما فيي – روحو لي يا هووووه!

وتتوالى الفتاوى والصرخات والتحذيرات بأن الآدمي الذي لن يحبّ – على طريقة رشدي أباظة – ستكون حياته "أنيل من النيلة"، وأشدّ سوادًا من قرن الخرّوب، وبأن الشمس بدون هذا الحب لن تطلع، والأرض ستكف عن الدوران، والأنهار ستقيم إضرابًا عامًّا عن الجريان، والورد سيصبغ لونه بالأسود الغطيس، والسنن الكونية – كلها – ستتخلف بسبب كون حضرتك لا تحب، ولا تقضي الليل تعدّ النجوم.

وهذا المرض ليس جديدًا، بل إنه أقدم كثيرًا من ابن العم قيس بن الملوّح وسميّه قيس ابن ذريح، وهو – بالطبع – أقدم من أيام جميل وعروة، وكثيّر وعزّة، وروميو وجوليت، وعزيزة ويونس، بل أقدم من اختراع الإغريق والرومان لآلهتهم التافهة المتخصصة في الحب كالسيد كيوبد، وسايك، وفينوس، وعشتار، وأم شوشة.

وهذا العمق التاريخي هو الذي دفع الشاعر إلى أن يصف الناس "الخام" غير المحبين بأنهم – أجلك الله – بآذان طويلة، وأصوات غير جميلة:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى  قم فاعتلف تبنًا.. فأنت..... رُ

المسألة – قارئي الكريم – لم تتوقف على هتاف الشعراء والمحبين، بل تعدت ذلك كله لتشمل كل مظاهر الحياة التي نعيشها:

فالقلوب، ورموز الحب، والعيون، والوجوه العاشقة، منثورة في كل مكان: على الثياب، وأساتيك الأطفال، وحقائبهم المدرسية، والأقلام الرصاص والجافة، واللواصق، وجلاّد الكراسات، وإكسسوارات النّساء، وإعلانات الجرائد، والملصقات، والمسلسلات، والإعلانات.. ودوامات لانهائية من الأغاني والأفلام وأشرطة الكاسيت والفيديو، وأنّى سرت، وأنى تلفَتّ؟!

وهذه الدوامات جعلتني أكون مبدعًا عظيمًا، ومبتكرًا لنظرية " نشوء الحب وارتقاؤه " فليس الدكتور داروين خيرًا مني، ولا أكثر إبداعًا..

وخلاصة نظريتي أن الحبّ بدأ عذريًّا، يموت فيه الحبيب إلى رحمة الله – فقط – لأن موجة هواء من التي نسّمت على دار الحبيب مرت على وجهه، وسبب موته – إلى رحمة الله – أن أهل الحبيبة حجبوها عن الهواء، ومنعوا عنها النوم، حتى لا تشم هواءً مرّ على أنف صاحب التعاسة العاشق، وحتى لا تراه في المنام وهمًا يكحل عيني بصيرتها:

حجبوها عن الرياح لأني  قلت: يا ريحُ بلّغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها لشقوتي أن تناما

ثم انتقل الحب إلى مستوى أكثر تقدمًا – وبشكل مفاجئ – يواعد الحبيب فتاته من النافذة، و"يخطفان" رجليهما إلى الكورنيش على طريقة شكري سرحان وزهرة العلا، لكنهما يجدان هذه الخطوات بطيئة ورجعية، فتصرخ الولهانة فيه – بصبر نافذ، وعلى طريقة الجوهرة المصونة نجوة كرم: أنا ما فيي، مش قادرة أصبر مش قادرة!

وتكون الخطوة قبل الأخيرة أن توافيه في شقته ليشربا معًا "حاجة صفرا"، فتصرخ هي فيه مستعجلة؛ لأن عندها ارتباطًا آخر (بوسة ونغمّض ويلّلا..) لتأتي قمة التطور بأغاني الفيديو كليب وعلى الشواطئ العارية، ثم في حفلات الجنس الجماعي، ويعود الناس إلى المشاعية الجنسية، وتموت مؤسسة الزواج، وينسى الناس كلمات "عظيمة" سادت ثم بادت، اسمها: العرض والشرف والعورة، وخوف الله، والجنة

والنار.. ويكون إبليس – عليه لعائن الله – قد انتصر نهائيًّا في معركة "التعرية وكشف العورات" التي بدأها في الجنة، حين عرّي سوأتي أبوينا – عليهما السلام – ثم حلف أن يكرر الأمر مع أبناء آدم وبناته، الذين نسوا ما حصل للوالدين الكريمين، فهو يريد أن يعري الكرة الأرضية بكاملها من الملابس ومن الحياء والرجولة والمروءة.

فهل إذا سارت المرأة والرجل عريانين – حقيقة أو مجازًا – سيكون هناك دين أو خلق أو نسب أو قيمة أو شيء يعيش الناس له؟!

أظن لا – وبعض الظن يقين – بل أعتقد أننا سنشبه – كثيرًا – حيوان الغاب، ووحوشه التي تأكل وتشرب وتتناسل وتموت دون هدف، ودون معنًى، ودون قيمة..

لكن الفرق بيننا وبينها أن الوحوش لن تحاسب – تقريبًا – في حين أن ابن آدم سيحاسب على النقير والقمطير، والحبة والقبة.

إن السم متدرج وخفيف وبطيء، لكنه أكيد المفعول – كما يقول عمنا العظيم العلامة محمد قطب – والنهاية هي نفس سنن من كان قبلنا: [حذو القذة بالقذة؛ حتى لو أن منهم من أتى أمه علانية، لكان فيكم من يفعل ذلك] كما ورد في سنن الترمذي!

و"من كان قبلنا" صارت كلمة الحب في لغتهم **love** تساوي تمامًا كلمة **sex**، وصارت جملة **make love** تساوي تمامًا: يلّلا نهوبص، أو: هيا بنا نَزْنِ!

إن أكبر ما يسقط الحضارات بالضربة القاضية هو انكشاف العورات، والفساد الأخلاقي الذي يصنع أجيالًا بلا عرض ولا مروءة ولا شرف، تحمي – بالغيرة عليه – أوطانها أو أهلها أو دينها.. بل إن هذا الصنف مستعد لأن يبيع كل شيء – من الزجاجات المعبأة بالوهم، إلى العوازل الرجالية، إلى قطع الغيار البشرية، إلى الأوطان، والتاريخ، والجغرافيا، المهم أن نكون [عايشين للّيل والحب وبس]!

ولقد سئلت من شخص مندهش: ألم يعد في الناس خير من وجهة نظرك المتشائمة هذه؟!

وجوابي لسائلي المغاضب قاطع: فأما من أهل المواضعات الأهوائية فلن يأتي خير ما داموا على ذلك..

وأما من جهة المسلمين الذين يريدون إسلامًا خفيفًا ظريفًا، لا تكاليف فيه، ولا أعباء مترتبة عليه فلا.. أيضًا..

وأما من جهة النساء الفضليات القابضات على الجمر، المتحديات إغراءات الموضة والإكسسوارات وأدوات المكياج خارج المنزل، الساترات لأنفسهن وأزواجهن، النائيات بأنفسهن عن المظاهر الكاذبة، والبريق الزائف، خصوصًا إذا تخلصن هن والرجال من نقائص قلة العلم واندفاع السلوك.. ف... بلى وبلى وبلى.

وصدق سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو الصادق أبدًا – حين قال:

[لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك].

وسيبقى دائمًا أناس في أمة الخير، يعرفون الحياء والحشمة، ويفكرون في التستر، ويسألون بصورة دائمة عن السبل الموصلة لرضا رب العالمين، والجنة التي أعدت للمتقين، وقد امتلأت قلوبهم بمعانٍ للحب لا تكاد تذكر، ولا يفكّر فيها جمهور التائهين: حب الله تعالى، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب العمل لهذا الدين، وحب الوالدين، وحب الأبناء، وحب الزوجات الصالحات، وحب الجمال الحرّ الطليق، وحب المعاني النبيلة، وحب الإبداع والعطاء، وحب الناس جميعًا في الله تعالى لا في غيره..

أما الحب الذي يجعل المرأة تصرخ – في شبق وتهالك –:"أنا ما فيي" فلا أكثر الله منه، ولا مكّن له في الأرض؛ لأنه سيحول الرجال إلى مجموعة "أنطاع"، والنساء إلى مجموعة آهات شوق، وساعات لذّة.. ثم إلى جهنم وبئس المصير.

## المقامة الحَلنْجِيّة

### في التصريحات التقدمية، والآراء الفيمينية التطورية:

قال المتزمت بن الرّجعي وفقه الله:

حدثتنا الأديبة التحررية، لطفية الحلنْجية، وهي عانسٌ مستنيرة، ومفكرة جِدُّ خطيرة، ذات جسد مستقيمٍ وسلوكٍ أعوج، وعقلٍ غيرِ سليمٍ وفَهمٍ أعرج:

بعد جلسة أُنسٍ ومزاج، وطربٍ وابتهاج، عنَّ لي أن أجتهد وأُنظّر، وأُبدع وأُطوّر، وأُخرجَ من خلاصة عبقريتي أندر درّة، وكل فكرة بُرمِجْتُ بها من بلاد برّة..

فشحذت فكري، ونهضت لأستفرغ كل ما في صدري، من أفكار مستنيرة، وعبارات خطيرة، أطالب فيها بتنوير الأذهان، وتحرير النسوان، وأُخرج حواء من الظلمات إلى النور؛ إلى مستوىً لم تَرْقَ لمثله عبر الدهور؛ لأنه رغم أن الزمان تغير، والفكر قد نما وتطور، فلا يزال فينا من يدعو إلى الحجاب، وربما استجرّهن إلى لبس النقاب.

ولا يزال بعض المتزمتين يتحدث عن العِرض والشرف، مما يجلب لي ولإخواني أهل التنوير الهمَّ والقرف؛ فقد تحرر جنس حواء، واستقلّ صَنْفَ النساء، وصار منهن وزيرات، وكاتبات شهيرات. كما أن الفرصة قد باتت مواتية، لتخرج المرأة من قيود التقاليد البالية، فتسهر كما تشاء، وتراقص برغبتها من تشاء، وتستمتع بشبابها، وتلبي رغباتها وشهواتها.

ويغيظني أن بعض المتزمتين، من الرجعيين الظلاميين، يفتي بأن هذا حرام، وأنه ضد دين الإسلام:

| | |
|---|---|
| أخزاه ربي.. قبحه | بغلًا يحب القنزحة |
| من كل مُعْفٍ شاربا | أو لحيةً كالممسحة |
| من كل قفلٍ جامدٍ | لم يتصف باللحلحة |

| | |
|---|---|
| من كل قالٍ للهوى | للبَرْتهات المفرحة |

فهذا الصنف من البشر جامد، وللحرية مخاصمٌ معاند، يطالب بكبت النزوات، ومحاربة الرغبات:

| | |
|---|---|
| يدعو الجمود طهارةً | يقلو الغنى والسحسحة |
| يأسى على كل انطلاقٍ | من فتاة جامحة |
| يبكي إذا سارت ضحىً | منها الرغائبُ فائحة |

ويبدو ضيقه على ملامحه، ويظهر جليًّا على جوارحه، فتراه يبسمل ويحوقل، ويستغفر ويهلل، ويستعيذ بالله من الشيطان، ويغض البصر ويُسبِلُ الأجفان، ولا يأنس لمرأى الغيد الحِسان، يخطرن في جوف الليل خطور المبسوط النشوان، وقد جعل شعاره نقدَ كل فتاة تمشي على راحتها، وتسهر مع شلتها، ويتصدى لكل شابة صبية، غضةِ الصبا بضةٍ طرية:

| | |
|---|---|
| عرضت بِدِلٍّ قدّها | في خفةٍ.. في صرمحة |
| أو أصبحت لدلالها | طرفَ البلوزةِ فاتحة |

ويتغضن جبينه، ويزيد أنينه، ويحمر أنفه، ويبدو قرفه:

| | |
|---|---|
| إن هزهزت رقاصةٌ | أعضاءها المترنحة |
| بين المراقص والملاهي | والأغاني الصادحة |

ولا يدري الأحمق أن هذه المنتديات، وصالات الديسكوهات، فيها تتحرر النفوس، وينطلق الكبت المحبوس:

| | |
|---|---|
| وسطَ الشباب بطيشهم | بين النفوس الجامحة |
| ومع المدامةِ والكؤوس | ومَزّة مستملحة |
| يجد الذين تحرروا | فرصًا هنالك سانحة |

ولا يعلم – المتخلف – أن البنت المسكينة، تحتاج إلى المرونة، لا إلى الحبس والخشونة؛ حتى تتفجر طاقاتها، وتظهر مواهبها وملكاتها:

| | |
|---|---|
| سيبوا الفتاة وشأنها | للفرفشا والدردحة |
| وثقوا جميعا أنها | تعطي نتائجَ مُفرحة |
| هي حرةٌ بسلوكها | مهما بدا من رحرحة |
| لا تطلبوا لبس الحجاب | ولا الهدومِ الكالحة |
| لا تطلبوا فصل البنات | عن العيال الفالحة |
| ولسوف تثبت نفسها | لو للمجاري كاسحة |
| ولسوف تلقُط رزقها | لو للصنادل ماسحة |

أَوَلم يدرك ذلك الظلامي، والرجعي الانهزامي، أن الدين صار موضة بالية، وأن رياحه باتت غير مواتية، وأن أولئك الستات، أحرزن أحسن انتصارات، وفزن في الكثير من الجولات، وبرزت منهن مناضلات وفنانات مبدعات، وراقصات موهوبات:

| | |
|---|---|
| إن الفتاة أروبة | وخفيفةٌ وملحلحة |
| شوفوا فالنتينا وكوري | شوفوا مادونا الشالحة |
| شوفوا البناتِ الرائعاتِ | المائساتِ بدردحة |
| شوفوا الشياكةَ والعياقةَ | والجسوم الصابحة |
| فيها التدللُ والصبا | منها الأنوثةُ لائحة |
| فيها المهارةُ والشطارةُ | بالمواهب طافحة |

لهذا؛ فإننا نعلن لكل المتزمتين، والمتخلفين المتشددين، أننا سنفعل ما نراه مناسبًا، ولن نرضى علينا رقيبًا أو محاسبًا، حتى ولو كان الضوابطَ القرآنية، أو التعاليم النبوية، فإن العصر غير العصر، وينبغي أن نستمتع قبل أن يتبخر العمر:

| | |
|---|---|
| أنعود للخلف القرونَ | إلى زمان المطرحة |
| أنعود نقرا النازعاتِ | أو النسا والفاتحة |
| أنعود للسجن الكريهِ | وقد خَبَرنا البحبحة |
| إنا وصلنا بالفقاقةِ | للنجوم السابحة |
| لا بالتدين والبخور | أو اهتزاز المسبحة |

| | |
|---|---|
| لا بالصلاة ولا الصيا | م ولا شيوخ الأضرحة |

فأما الحلال والحرام، والاحتجاب والاحتشام، فهي أفكارٌ بائدة، وعلى التخلف شاهدة، كما أنها لزمانٍ قد مضى، وفكرٍ قد قضى:

| | |
|---|---|
| فدعوا قيودًا باليةٍ | بالتخلف راشحة |
| ودعوا عقائدَ بائساتٍ | لا تساوي قولحة |
| هذا أوانُ تحررٍ | هذي ظروفٌ سانحة |
| أأطأطئ الرأس العزيز | ولو خسرت المصلحة |
| أأذل للزوج البغيض | ولو فؤادي طوّحه |

وقد بلغ الغيظ منا الأوج، قفليس الأمر فقط أمر الزوج، رغم أنه قيد إذلال، وسبيل نَكال فليسقط الرجال، كل الرجال:

| | |
|---|---|
| إن الرجالَ جميعَهُم | مثل الحمير الرامحة |
| بل كالضباع الناهشاتِ | وكالكلاب النابحة |
| بل كالأفاعي الكامنا | تِ وكالبغال الضابحة |

ولْتَحْيَ نون النسوة، ولتنطلق أعاصير الشهوة، ولنا في الأوروبيات أُسوة، وقد آن لكل حواء، أن تفعل ما تشاء، فدعونا من نصائح لا تجدي، وأفكارٍ تُهلك وتُردي، ولا تخافوا على الشباب، ولا تبالوا باختلاط الأنساب؛ فحبوب المنع موفورة، وطرق التخلص من الأجنة معروفة مشهورة، ومرحبًا بدعوات التنوير، وبعهد الانطلاق والتحرير..

وسلّم لي...

---

**التعبيرات العامية:**

- **بلاد برة: تعبير يراد به خصوص أوروبا/ صَنف: معناها نوع/ القنزحة: التعالي والتطاول على عباد الله**
- **قِفل: يطلق على الشخص الجامد غير المنطلق/ اللحلحة: المهارة والقدرة على التصرف!**
- **قالٍ: فصيحة معناها: كاره/ البارتِهات: كلمة إنجليزية مفردها بارتي وتعني الحفلة..**
- **السحسحة: الوفرة وزيادة المال/ يخطرن: فصيحة معناها: يسرن بدلال.**
- **تمشي على راحتها: تعبير عامي يكنى به عن الفتاة المتفلتة غير المقيدة بقيود أخلاقية أو عائلية.**
- **بِدلٍّ: أي بدلال ومرقعة/ الصرمحة: التفلت وعدم الانضباط..**
- **البلوزة: كلمة فرنسية تعني الثوب الذي يغطي النصف السفلي من المرأة..**
- **سيبوا: دعوا/ الفرفشا: جلسات اللهو المحرم..**
- **رحرحة: التصرف بحرية بعيدً عن القيود الشرعية..**
- **الهدوم: الملابس/ الفالحة: أي الماهرة الموفقة/ كاسحة: تعبير يراد به تنظيف المجاري من قاذوراتها..**
- **أروبة: شديدة المهارة واليقظة/ الشالحة: الخالعة ثيابها/ شوفوا: انظروا..**
- **الشياكة: كلمة أوروبية الأصل تعني حُسن المنظر وجمال الثياب وكذا العياقة..**
- **الصابحة: الطازجة الطرية، ويراد بها هنا: الجسم الشاب في عنفوانه..**
- **الشطارة: المهارة/ المطرحة: آلة بدائية تستخدم في الخَبز..**
- **البحبحة: الانطلاق وعدم التقيد..**
- **الفقاقة: اليقظة وذكاء العقل/ اهتزاز المسبحة وشيوخ الأضرحة: دائمًا ما يخلط الكذابون بين الدين والخرافة، وبين الحق والباطل..**
- **القولحة: هي جسم خشبي في تركيبه، تتراص عليه حبات الذرة ليتكون ما يسميه العامة كوز الذرة..**
- **الضابحة: فصيحة، والضُباح صوت البغل.**

## أحلى العيون عين زبيدة

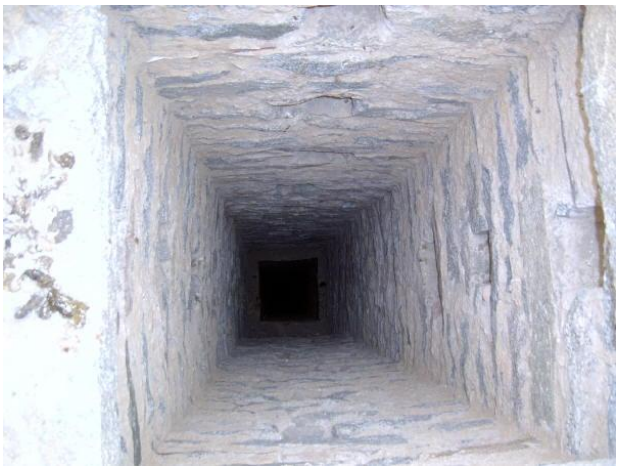

اعتبرها – أيها المبارك – من لحظات الإلهام، اعتبرها لمحة ذكاءٍ وقّاد، أو اعتبرها إشراقة روحية نفحها الله الكريم عبدًا من عباده الصالحين، فكأنه استطاع أن يلمح من بين الغيوب فرصةً لا ينبغي أن تضيّع، فأحسن انتهازها، و"كَلْبش عليها بيديه وأسنانه"، فكان فيها ذكره، وكانت فيها سعادته، وكان فيها خيره في الدنيا والآخرة.

وفي حديثي عن العيون الجميلة لن أكلمك – قارئي العزيز – عن العيون النجل، ولا العيون "العُمْش" ولن أتغزل في العيون التي "في طرفها حول" ولا التي في "موقها عَوَر"، ولن أهيم بك في أودية العيون الزرق (زراق ربّاني) ولا العيون الزرق (أونطة) لأن الزرقة فيها زرقة العدسة اللاصقة.

فالعيون التي أتحدث عنها من الماركة التي قال فيها إيليا أبو ماضي:

وعيون ماءٍ دافقاتٌ في الثرى  تروي الغليل كأنما هي زمزمُ

كما أن " الست زبيدة " التي أتغزل فيها اليوم ليست زبيدة ثروت (بتاع السيما) ولا هي الأسطى زبيدة العالمة (بتاع هزّ يا وزّ) فليس هذا الصنف على البال، لا عقلًا وشرعا ولا عاطفة..

وإنما يدور حديثي حول واحدة من أولاء الموفّقات، اللواتي قبضن على البركة والخير في لحظة عناية إلهية، فدخلن بذلك التاريخ والجغرافيا، وأرجو أن تكون قد دخلت الجنة أيضا.. اللهم آمين.

وتبدأ الحكاية في لحظة من لحظات التوفيق النادرة التي:

** من خلال مثلها لمحت (الكاملة) آسية بنت مزاحم في وجه الصبي الرضيع – الذي التقطه جندُ زوجها المتجبر، من النيل الهائج – شيئا غير عادي، ربما كان

نورًا كسا الله به ملامحه، أو بسمة ذات دلالة لامرأة عقيم تشتهي الولد، أو وحيا داخليا جعلها تحس أن هذه الملامح البريئة التي أنجاها الله من مجازر فرعون هي لولد غير عادي، فارتمت على الصغير تحميه من غلظة جند فرعون، آمرةً إياهم، بكلامٍ هو مزيج من الأمر والرجاء: (لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا) فحمت بحنانها نبيا من أولي العزم من الرسل، كان له عند الله تعالى وعند عباد الله منزلة – وأية منزلة – ثم لتوحّد الله تعالى على يديه، فيكون سبيلًا لإنقاذها من النار في الآخرة، كما أنقذته من الذبح في الدنيا؛ حتى ضربها الله مثلًا للذين آمنوا، وجعلها من سيدات نساء العالمين..

** ومن خلال مثلها فطنت ابنة النبي شعيب إلى الفتى موسى بن عمران (عليهم السلام) فلمحت شيئا مختلفا عما كانت تلمح في رجال قومها – الأنذال – لمحت فيه عزة الشباب، وعفة الثياب، والاستعلاء بالرجولة، والاتضاع مع القدرة، وشيئا آخر مبهمًا جعلها تذهب إلى أبيها تلمّح له أن يخطب الشاب لها: (يا أبت استأجره؛ إن خير من استأجرت القوي الأمين) ثم تكتشف الفتاة أنها (نشّنت صح) واقترنت في لحظة بركة – برجل من أهم خمسة رجال عرفهم التاريخ البشري – هم أولو العزم من الرسل – وأنها عند رجل محبوب في السماء قبل الأرض: (وألقيت عليك محبة مني)..

فلا بدع أن تقول إنها أحسنت القبض بيديها على لحظة من لحظات الإلهام المباركة، التي أدخلتها التاريخ، وجعلت سيرتها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة؛ ولتسجَّل في التنزيل أنموذجا للعفيفة الحيية الذكية.. عليها رضوان الله وبركاته.

** ومن خلال مثلها انتبهت أمُّنا خديجة رضي الله عنها وأرضاها – إلى خصائص غير عادية كان يتمتع بها الفتى محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) من خلال بعض الإرهاصات التي نقلها إليها غلامها ميسرة، فأدركت – بحسّها الفطري – أن للفتى شأنا، وأي شأنٍ؟!

فاندفعت بعقلية الأنثى اللماحة، والتاجرة الماهرة، والإنسانة الباحثة عن الكمال والتفرّد.

اندفعت تخطب لنفسها الفتى – كما فعلت ابنة شعيب عليهم السلام – على غناها وفقره، وقوتها وضعفه، وسنّها وسنه، وأنوثتها ورجولته..

فلما تم لها ما أرادت تبينت المباركة أنها صارت تحت أعظم إنسان خلقه الله تعالى، وكرّمه بمحامد في الدنيا والآخرة،لم تؤت لغيره قبله ولا بعده.. فلم يكن عجيبا منها أن تنسى كل شيء إلاّه، وأن تعطيه مالها وجاهها ووقتها وأبناءها، ليتفرغ للتحنث، ولتكسب بدورها أعظم قلب في الدنيا، وليظل الوفي العظيم – صلى الله عليه وسلم – شاكرًا لها حتى يلقى الله تعالى، بعد أن أقرأها سلام ربها عليها، وبشّرها ببيت في الجنة من قصبٍ، لا صخب فيه ولا نصب.

** ومن خلال مثلها – وبعد موقف خديجة رضي الله عنها بمائتي عام واثنين وثلاثين عاما – أي سنة **194** هـ – تفكر امرأة مسلمة ذكية وقوية وغنية – هي زبيدة زوج أمير المؤمنين الرشيد رحمهما الله – تفكر في عمل ينفعها في الآخرة، ويبقي الحمد لها في الدنيا، ويكسبها الدعاء والثناء قرونا وقرونا – الآن مضى عليها اثنا عشر قرنا وربع القرن – وظلت تقول:

(يا زبيدة.. يا زبيدة.. يا بت زبيدة.. تعملي إيه يا بت؟!)

ثم أشرقت فجأة في نفسها إشراقة توفيق، فأدركت أن أحب البلاد إلى الله تعالى هي مكة (هذا البلد الأمين) وأن أهم الأوقات في مكة هو موسم الحج، وأن الحاجة هنالك لا تمس إلى شيء قدر ما تمس للماء والسقاية للبشر والدواب (حيث كوز الماء يساوي عشرة جنيه استرليني) في تلك البيئة الماحلة القاحلة، فاحتسبت الأجر، وحررت النية – والله حسيبها – واستدعت خازن بيت المال، وأمرته أن يفرغ زكائب الذهب والفضة (المتلتلة) ويأخذ معه تحويشة العمر (من تحت البلاطة) مع (شوية الغوايش والبروشات، والأساور والدمالج) التي كانت (تتمظهر) بها بين المترفات..

وقالت له: هذا فكاكي من النار، فاذهب إلى أم القرى، وفجّر فيها عين ماء حلوة سائغة دائمة ثجاجة لا تغيض، وانقل ماءها إلى المشاعر.. (وهاحلّي لك بقك.. مش هانساك) ولم يضع الرجل الفرصة، لعله أن يغفر له (على حسّ زبيدة) وأخذ

معه المهندسين والبنائين ومستنبطي الماء.. وقال بسم الله، فوفقه الله تعالى في تفجير عين ماء شديدة الحلاوة، ثرة العطاء، طويلة العمر.. تبتدئ من قريب من الطائف إلى مكة حرسها الله تعالى..

ولقد رأيت (تناكر) المياه في السبعينيات تنقل ماءها داخل الحرم المكي، ثم رأيت – وإلى اليوم – أثر الهندسة الزبيدية في عرفات ممتدة في حضن الجبال التي تحزم الطريق من مكة إلى عرفات من أوله إلى منتهاه على يسار الداخل، على هيئة سور هو في الواقع قناة ماء تمتد بطول الموقف؛ لتوفّر الماء لضيوف الرحمن؛ ليتفرغوا للابتهال والتضرع، ولشكر الله تعالى الذي ألهم زبيدة المباركة أن تدخل التاريخ نحو ثلاثة عشر قرنا.

** أرأيتم لماذا قلت إن عينها أحلى من كل العيون.. حتى عين الجمل؟!

وللتجار الكبار، وللمستثمرين الهواميرِ أقول:

= ألا يفكر بعضكم في أعمال مشابهة لخدمة الإسلام، في زمن ذبح الإسلام من الوريد إلى الوريد؟!

= لماذا لا نفكر بعقلية زبيدة وخديجة وابنة شعيب وآسية رضي الله عنهم، ونحاول أن نكسب رضاء الناس ورب الناس عز وجل؟

= هل يفكر بعض أغنيائنا في إطلاق قناة فضائية دعوية لمناقشة القنوات التي ستطلقها الفاتيكان لتغطي بها الكرة الأرضية بقصد تنصير الدنيا كلها؟!

أم إن (فلوس المسلمين) لا تتجه إلا لخدمة قنوات وبرامج تروج لأمجاد سنية شخلع وعديلة ما يحكمش، وتنفخ في بطولات عصابة الواد النص، وأفانين الشمامين، وتجار البلابيع، والتجليات الفكرية لأبي دنّون، وشحاتة الأقرع، وأم رجل مسلوخة؟!

رحمة الله على زبيدة الموفقة، وعلى كل الصالحات..

## أنا زيّي زيّك

مقولة ألقاها الإعلام الرجيم في أماني نساء القرن العشرين.. لترجِّعها إحداهن (بالفم المليان) لزوجها – الذي لا يقبل أن تكون (زيها زيه بالظبط) – فتدب الخلافات، وتدوم المناقرات، وينتهي الحال إما إلى (تعايش) تعيسٍ ، لا سكينة فيه، ولا مودة، أو رحمة.. أو إلى (فراق) قاطع باتّ يدفع ثمنه الأبناء، والنظامُ الاجتماعي الذي يصر على تلقين البنات أن إحداهن (زيها زيه بالظبط).

وهي عبارة شجع عليها أن إحداهن تخلت عن دورها الفطري – كأنثى وزوج وأم وملكة متوجة في مملكة اسمها البيت – لتمارس دورًا آخر أضلها به من لا يريدون لها الخير، ولا لبيتها السكينة، ولا لعلاقتها برجلها المودة والرحمة!

وبعيدًا عن التهويش والقعقعة اللفظية أطرح بعض الافتراضات، وأناقش مدى إمكان تحققها.. والنتيجة المترتبة عليها إذا هي تحققت..

هل يمكن للرجل أن يكون امرأة، أو للمرأة أن تكون رجلًا (بالظبط)؟

هل يمكن أن تكون المرأة امرأة، وهي بمجانص، وعضلات، وصوت خشن، وقلب زيّ الحجر...

هل يمكن للرجل أن يحبل ويلد، ويحيض وينفس، ويتوحم على خرطة جبنة، أو فحل بصل؟

هل يمكن للرجل أن يكون له صدر ناهد.. وجسم أطلس.. وتقاسيم مورفولوجية، تجعله يندرج تحت وصف صاحب المقامات للجميلة زينب:

جُندُها: جيدُها، وظَرفٌ، وطَرفٌ ناعسٌ، تاعسٌ، بحدٍّ يَحُدُّ

هل من المعتاد في الرجل أن يفزع في نصف الليل ليضم ابنه في حضنه، أو يبكي أربعًا وعشرين ساعة؛ لأن ضناه – بسلامته – ارتفعت حرارته شرطتين؟!

هل يمكن للرجل (الطبيعي) أن يحب ظلال الجفون، وأحمر الشفاه، وألوان الخدود، والإكسسوارات المفرطة، والأقمشة النسائية الزاهية، وعالي الكعوب من الأحذية؟

وهل ترضى المرأة الطبيعية أن (تتمتع) بصوت غليظ مثل صوت حضرتي، وأيد خشنة، وكعوب متشققة، وعدم مبالاة بالجسم كما نملك؟

وهل يمكن للمرأة الطبيعية أن تعافس الحياة في الشارع... وسط قسوة طلب المعاش، وصعوبة انتزاع اللقمة.. وتبقى – مع ذلك – امرأة ذات رموش ناعمة.. ورقّة فاتكة؟

إن الله تعالى يقول لنا إن ذلك غير ممكن (وليس الذكر كالأنثى)!

وإن الله تعالى يقول للمرأة: اعتزي بما أنت عليه من الرقة، وحب الزينة والتأنق.

ويقول للرجل: كن رجلا بحق.. وحافظ على ما أنت عليه..

ويقول لكليهما: (وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ )!

وإن الله تعالى يقول: إن الرجل إذا حاول أن يكون أنثى الطبع، وإن المرأة إذا حاولت أن تصير ذكرية السمات، حلت عليهما بذلك الفتنة واللعنة والفساد العريض: (لعن الله المتشبهين).

لكن للغرب رأيًا آخر، لأنه يعتقد أن مفكريه أعلم من الله (تعالى) وأخبر من الله تعالى، وأبصر من الله تعالى!

قال أهل الغرب – ببساطة – إن الرجل يمكن أن يكون أنثى، وألبسوه الأقراط والسلاسل، وأطالوا شعره، ونعموا خدوده.

وقالوا ببساطة – أيضًا – إن المرأة يمكن أن تكون تيسًا جبليًّا، تنطح الصخر، وترقى الوعر... فجعلوها تمارس كل ما يمارس الرجل... فماذا كان المآل؟؟

في عالم الحيوان أطعموا البقر اللحم فجنّنوه، وخبّلوه، وأفقدوه بَقرِيتهُ؛ فلم تعد البقرة بقرة.. ولم تصر كذلك لبؤةً لاحِمة!

وفي عالم النبات والحيوان نرى بعض الزهور وبعض الأسماك إذا فقدت الجنس المقابل تحولت إليه... فإذا لم تجد السمكة ذكرًا تحولت هي إلى ذكر لتلقيح نفسها.. وينتهى الأمر... ببساطة.

وهذا ما كان في دنيا الذكورة والأنوثة بمنتهى البساطة.

استغنى الغربي عن المرأة – التي شبع منها حتى البشَم – واكتفى بذكر مثله، ويا دار ما دخلك إلا الشر.

واستغنت الغربية عن الرجل – الذي شبع منها حتى البشم – بامرأة مثلها، أو حتى بكلب أو قرد.. وكله عند الغرب متعة!

وبعدين:

ألم يصابوا بجنوب البشر بعد جنون البقر؟

ألم يجنُّوا حين عافوا الزواج الفطري، والنسل، والأرحام، والعصبات، وأشكال القرابة كلها؟!

ولو – لا قدر الله – انتشر هذا الصنف من البشر الشاذين، الخارجين عن الفطرة والاستقامة والانسجام مع (البشرية الأصلية) فكيف سيكون الحال؟!

هل سيكون المجد للجنس الثالث الذي تذوب فيه الحدود بين الذكورة الأنوثة، وينتج جنس وسيط ثالث يتصف (بالأنورة) فلا هو ذكر ولا هو أنثى.. ولا هو خصب ولا طبيعي.

أتعرفون البغال والكائنات الهجين؟ إنها لا تتناسل ولا تتضاعف لأنها ثمرة جنسين مختلفين؛ فلأن البغل نَسَل من حصان وأتان، يخرج عقيمًا، غير قابل للتكاثر والتناسل والاستمرار..

هل تتخيلون (مثلي) وترتعبون (مثلي) من مصير العالم إذا تحول كله إلى كائنات غير طبيعية.. ليست بالذكور ولا بالإناث؟

**أليست هذه وسيلة للقضاء على البشر أرخص من التعقيم القهري.. وقنابل اليورانيوم المنضب، والموت الدولي المنظم، والطعام الملوث بالإشعاع الذي يصدر للعالم الثالث؟**

**ألن يكون هذا أرخص وأسهل وأشد فاعلية في استجلاب سخط الله ولعنة الله وعذاب الله على البشرية التي استباحت الذكران يومًا في بعض مساحاتها، فقلبها الله تعالى – عاليها سافلها – كما تنقلب الفطرة، وكما ينقلب وضع الرجل والمرأة الشاذين؛ فوق تحت!**

**أليس وعيد الله تعالى بإمطار المستبيحين ب(حجارة من سجيل منضود. مسومة عند ربك) أليس هذا الوعيد قائمًا حتى يومنا هذا (وما هي من الظالمين ببعيد)؟!**

**ربنا لا تؤاخذنا بما فعل المستبيحون منا... يا حليم يا رحيم**

## إني نذرت لك ما في بطني!

الناس همم وقدرات، وعزائم ونوايا: فمنهم من همته في السحاب – بل فوق السحاب – ومنهم من همته في الوحل والشقوق ومصارف المجاري، مع الهوام والحشرات والدواب..

منهم من قلبه معلق بالملأ الأعلى.. وبرب السماء والأرض، والمساجد، وحلق العلم..

ومنهم من قلبه معلق بالمراقص والمساخر، والملاعب والسفاسف، والمهاوي والمخازي.. فهو يدمنها، ويتتبعها، ويفتش عنها، ولا يبالي أن يدفع عمره وماله وهمته وراء ساعة لهو، أو لمسة محرمة، أو كأس زفت، أو استباحة أنثى هَلوكٍ شقية!

منهم من يربي أبناءه ليكونوا رؤوسًا في الخير والفلاح..

ومن يستنفر قواهم ليكونوا أساتذة في (الهلس) والتفاهة والاستحمار و(الهيافة)!

وبالمثال يتضح المقال:

- في التاريخ رجل عجيب.. لم أجد له مثيلًا (صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم تسليمًا كثيرًا) كان حريصًا أن يكون أبناؤه بصمات على وجه الإنسانية.. ومنارات في ظلمات الجاهلية، فدعا الكريم المجيب أن يبارك في ذريته، التي تفرعت فرعين كريمين، من أرومة نجيبة مجيدة أصيلة:

فأما الفرع الأكبر والأول فالنبعة التي خرج منها محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يرجع إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهم صلوات الله وسلامه.

وأما الفرع الثاني فخرجت منه سلسلة مباركة أثمرت إسحق ويعقوب ويوسف وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل!

قارن أخي/ أختي معي واعجبا: رجل يخرج من نسله سيد الأولين والآخرين، والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، ويجيب الله تعالى دعاءه في مكة، بالبركة وفي الذرية..

واسأل أحد المعاصرين عن أمانيه في مستقبل أبنائه.. تر عجبًا من العجب:

فإن كان المسؤول واحدًا من أولاء المساكين، المفتونين المغرورين، أراد بناته أن يكنّ بين مضيفة ومذيعة، وفنانة وراقصة، وصحفية وسيناريست، و(مخرجة) ومانيكان.

وإن كان أكثر عقلًا أرادها طبيبة مسالك، ومهندسة مبانٍ.. أو شرطية وسيدة أعمال!

أما أبناؤه فحبذا لو كان أحدهم فنانًا، أو لاعب كرة، تاجرًا، أو مستثمرًا، نجمًا أو شبه نجم!

وأما دينه/ ربه/ أخلاقه/ آخرته.. ف (بلاش تحبّكها) لأنه متأكد جدًّا أن (قلبه أبيض وزي الفل) وأن الدين يسر، وأن عنده من العمل الصالح ما يكفيه ليدخل الجنة من أي أبوابها شاء، بعيدًا عن دروس الأخلاق والنصائح والقيم والمكارم! (ويوم القيامة تُفرج) و (عيّشني النهاردة وموّتني بكرة)!

ويخرج الابن (خبّاصًا) حشاشًا، مرابيًا مراوغًا، مطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام.. و... وإيه يعني؟!

- نموذج عجيب آخر من النساء.. امرأة همتها في السماء.. محبة لرب الأرض والسماء.. حملت فلم تتمنّ ما تتمنى التافهات.. بل وجهت همتها نحو معالي الأمنيات.. وقالتها صريحة: لا أريدها فنانة.. ولا راقصة معبد.. ولا مستعرضة للحمها كال(مستنيرات) المتحضرات.. بل أريدها عفيفة ستيرة.. مؤمنة مخبتة. هي لك يا ربي: موقوفة منذورة لخدمة دينك ومعبدك، والقيام بما أمرتَ به، والانتهاء عما نهيتَ عنه، حِلس محراب، وحليفة دعاء، ونضو قيام وصيام.

ولم يخيب الله تعالى رجاءها.. ولم يرد نذرها (فتقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتًا حسنًا) فخرجت البنت عفيفة طاهرة، بتولًا متبتلة، حصانًا رزانًا.. لتصل إلى أعلى مرتقىً عبادي يرقى إليه الآدمي بكسبه.. أعلى الدرجات على الإطلاق: درجة الصديقية.. وهي درجة نادرة.. لم تصل إلبها – في التاريخ بطوله – من النساء إلا

قليلات من ذوات الهمة.. مثل الصديقة الصبور آسية بنت مزاحم، وأمي الصديقة الثابتة خديجة بنت خويلد، وأمي الصديقة عائشة المبرأة، والصديقة الزهراء النبوية بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهن جميعًا..

ليس هذا فقط: بل لتنجب – بعد – واحدًا من أعظم من عرفت البشرية على الإطلاق.. ولتخرج للدنيا رجلًا من أعظم خمسة في التاريخ – أولي العزم – هو الكريم العظيم الموحد، نبي الله عيسى ابن مريم، عليهما السلام..

هل امرأة عمران هذه امرأة عادية؟ وهل أنجبت امرأة عادية.. مثل أولئك التافهات المشغولات بآخر صرعات الموضة، وتسريحات الشعر، وألوان ظلال الجفون الشيطانية، ومعرفة الفروق الدقيقة في الخطوة والحركة بين رقصات الفالس والتشا تشا والكاريوكا، واختلاف درجات هز البطن في الفلامنكو وأسلوب هزي يا نواعم التي تمارسها (الأسطى نفيسة العالمة)!

يأيتها الشابة.. يأيتها العروس.. يأيتها الحامل: يأيتها الأم:

- لم لا تنوين مثلما نوت امرأة عمران، وتنذرين ما نذرت؟
- لم لا تقولين مثلما قالت هند بنت عتبة عن ابنها: ثكلْته إن لم يسد العرب والعجم جميعًا؟ وصحت فراستها في ولدها.. رضي الله عنهما..
- لم لا تفعلين ما فعلت أم الغلام اليتيم محمد بن إدريس الذي ملأ طباق الأرض علمًا بعد ذلك باسم الشافعي؟
- لم لا تفعلين ما فعلت زوج فروخ أم الإمام ربيعة ابن أبي عبد الرحمن.. التي صبرت على الوحدة.. وفرّغت همتها؛ لتخرج للدنيا معلم الأئمة، وربيع العلم، ومفرّخ الجهابذة..
- لماذا لا تنذرين ما في بطنك مجاهدًا أو عالمًا أو داعية أو عابدًا، كما فعلت الموفقات!

هل ستقولين ما قالت المرأة الصالحة: إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني..

لعلك تكونين أمًّا لشيخ من شيوخ الإسلام؟

هل تفعلين؟ افعلي.. ولا تنسي أخاك من الدعاء.

## أيوه.. بانام مع خالي!

(أحب) الحسناء نوال السعداوي وبقية القلاووونيات اللواتي يسرن على دربها:

غادة، وتوجان، وبنت المرنيسي.. وما شابه من عدوات الأنوثة.. أحبها لأنها واضحة، لم تنافق كالأخريات اللاتي يقلن: (الحشمة من الشرع... لكن) بينما يدسن على الشرع، وآداب الشرع، وأوامر الشرع بلكن هذه..

وهي – كما يقولون – (بتجيب من الآخر)، وتدعو بقوة إلى أن نتخلى عن عاداتنا (المتخلفة) في الزواج والمحافظة على المرأة، وتريد أن تجعل (الحب = الزنا) كالماء والهواء.. بلا حواجز.. ولا حدود.. ولا محرمات.. ولا عوائق؛ لكي (نستمتع) نحن الرجعيين بالحرية التي تعيشها (الحيوانات الشقراء) في الغرب المحارب لله تعالى جهرة..

شكرا يا ست نوال.. وكلها أيام وتلقين الكريم المتعال، وتستلمين صحيفتك – ما لم تتوبي – بالشمال، ولات حين توبة.. واستمتعي معي أيتها الجميلة بهذه (الغصة):

شابة أمريكية في مقتبل العمر تقول: "نعم أنا على خلاف شديد مع شقيقتي، ولا أستطيع أن أسامحها أو أغفر لها، لأن ما فعلته هو أمر بشع لا يمكن غفرانه".

سألها الأخ جيري المذيع:

– وماذا ارتكبت أختك من بشاعة، لتتخذي هذا الموقف منها؟

– تصور: لقد تزوجت خالي، وخالها، فهل ترى أبشع من ذلك؟

– وهل لديك مانع من مواجهتها هنا، وأمام الكاميرا والجمهور؟

– لا مانع أبدًا. وسألقنها درسًا في الأخلاق والسلوك الاجتماعي أمامكم.

دخلت بعد لحظات شابة أخرى واضح أنها شقيقة الشابة الأولى، فالشبه بينهما كبير. بدت الشابة الثانية أكثر سعادة وانشراحًا من شقيقتها. حصلت مشادة بين الفتاتين انتهت بجلوس الفتاة الجديدة فوق كرسي إلى الجانب الآخر من المسرح، داخل استوديو التلفزيون.

سألها المذيع: شقيقتك تقول: إنك تزوجت من خالك، فهل صحيح ما تقول؟

أجابت بكثير من الجرأة والتحدي: طبعًا صحيح. أنا متزوجة من خالي، وما الخطأ في ذلك؟

صفق جمهور الحاضرين بحرارة لما تقوله هذه الفتاة؛ ما يؤكد تأييده الكامل بحماسة.

سألها المذيع بعد هدوء عاصفة التصفيق الحاد: ولماذا فكرت بالزواج من خالك، من بين جميع الرجال في هذا العالم؟

بابتسامة عريضة أجابت: لأنني أحببته، وسأبقى أحبه أبد الدهر.

– هذه شقيقتك معترضة، وعلمنا أيضًا أن أمك تعترض على هذه العلاقة، بينك وبين خالك.

– إنه زوجي الآن، ولا يعنيني اعتراض أي أحد كان، سواء كانت هذا الأحد أمي ال (العاهرة) أو أختي (الساقطة) أو المجتمع بأسره.

وصفق لها جمهور الحاضرين بحرارة أشد.

– أنت تشتمين أمك وأختك بعبارات غير لائقة.. فلماذا؟

أجابت بوقاحة: لأنهما كذلك!

– وهل أنت مستعدة لشتم أمك في حضورها؟

– لقد فعلت، وسأفعل.

دخلت الأم إلى استوديو التلفزيون، وحصلت مشادة كلامية بينها وبين ابنتها وصلت إلى التشابك بالأيدي.

استمر الحوار ووجه المذيع كلامه إلى الفتاة (زوجة الخال): هل أنت مقررة الإنجاب من هذا الزواج؟

– نحاول ذلك كل يوم أنا وخالي، أعني زوجي.

– إذا أنجبت طفلًا، سيكون ابنك وفي الوقت نفسه ابن خالك.. أليس كذلك؟

– صحيح، هو كذلك بالضبط، فأين الغرابة في ذلك؟

وصفق الجمهور من جديد؛ تأييدًا للفتاة الجريئة ودعمًا لموقفها.

وجّه المذيع سؤاله إلى الأم: وأنت ماذا تقولين:

أجابت الأم (الحيية) بغضب: إن ما فعلته هذه الساقطة تجاوز الحدود والأعراف والقوانين والأخلاق، ويجب أن تفسخ هذه العلاقة فورًا..

ردت عليها ابنتها (البارة جدًّا): أنت تقولين ذلك أيتها الساقطة؟

لماذا لم تعترضي على زوجك الذي ضاجعني؛ بعد أن علمتِ بالأمر؟!

أجابت الأم: لم يكن زوجي ليفعل ذلك إذا رفضت أنت مبادرته، فلماذا قبلتِ ولبيتِ طلبه؟

أجابتها: تريدين الصراحة؟ لأنه يعجبني.

وازداد تصفيق الجمهور.

سأل المذيع الأم: ماذا تفعلين بأخيك الذي تزوج من ابنتك إذا تقابلتما؟

أجابت: سأؤنبه.. وقد ألطمه على وجهه.

دخل شاب بعد لحظات في مثل سن البنت (ابنة أخته) وهو يحمل باقة زهور قدمها إلى زوجته، وجلس إلى جانبها.

وصفق الجمهور ترحيبًا بالعريس وأخلاقياته الراقية؛ فالخال العريس (جنتلمان) إذ لم ينس إحضار الزهور معه، ليقدمها لابنة أخته عشيقته!

حصلت مشادة بين الأم وابنتها من جهة، وبين الأخ العريس وزوجته من جهة أخرى، انتهت بالهدوء واستماع الحوار مع الخال العريس.

سأله المذيع: لماذا اخترت ابنة أختك عروسًا لك من بين كل النساء؟

ضحك بسعادة.. وأجابه ببساطة واضحة قائلًا: لأنني أحبها.

سأله المذيع: وماذا عن القانون والعادات والتقاليد والمحرمات؟

**أجابه: مجنون هو من يحرم ممارسة الحب بذريعة العادات والتقاليد. أنا أحبها وهي تحبني، ونحن نؤلف ثنائيًا رائعًا، وهذا يكفي..**

**سأله المذيع: لماذا أحببتها وتزوجتها؟**

**أجاب: لقد جربنا بعضنا في الفراش.. ونجحنا في إسعاد أنفسنا كثيرًا. وماذا يريد الشخص من الأنثى أكثر من ذلك ليحبها؟**

**وصفق الجمهور من جديد.**

**وحين هدأ التصفيق سأل المذيع: ألا تعلم أن هذا الزواج هو من المحرمات؟**

**فأجابه: لا محرمات أمام الحب؛ نحن في أميركا، ونحن أحرار، نفعل ما نريد.**

**إنها الحرية، إنها الديموقراطية، ونحن نفخر بانتمائنا لهذه الأمة الأميركية التي تعطينا الحرية المطلقة.**

**وصفق الجمهور.**

**سأله المذيع: هل قررتما إنجاب أطفال؟**

**أجابه: هذا ما نحاوله كل يوم.**

**سأله: لنفترض *أنه أصبح لديكما شاب وفتاة. وأحبا بعضهما مثلكما، فهل توافق على زواجهما؟***

**أجاب الخال المتحرر المتحضر: بل أبارك هذه العلاقة وهذا الزواج إذا حصل، نحن في أميركا، بلد الحريات والديموقراطية.**

**دخل زوج الأم بعد لحظات من هذا الحوار، وهو يحمل كتابًا بين يديه، تقدم الرجل من الخال وقال له:**

**هذا الكتاب المقدس أهديك إياه لتقرأه، وهو يحرّم مثل هذا الزواج؛ علك تتراجع.**

**أمسك الخال العاشق بالكتاب المقدس، وألقى به أرضًا، وهو يقول: هذا لا يعنيني، ولا ولن أتراجع.**

**في تلك اللحظة أمسك الرجل بتلابيب الخال العريس، وأشبعه ضربًا ومزّق ثيابه الأنيقة.**

**احتج جمهور الحاضرين على هذا الفعل متعاطفًا مع الخال العريس. وتوقفت الكاميرا عن التصوير، وانتقلت مع المذيع إلى الجمهور.**

**سأل المذيع إحداهن: ألديك تعليق على ما شاهدت وسمعت؟**

**أجابته بفخر واعتزاز: إنها ممارسة الحرية والديموقراطية في أحلى وأبهى مظاهرها، بعيدًا عن كافة القيود من عادات وتقاليد وأعراف وقوانين بالية أصبحت من الماضي. أنا مع هذه الفتاة التي مارست حريتها، وتبعت ما اختاره قلبها، وتزوجت من يحبها وتحبه.**

**نحن في أميركا يا سيد جيري، ويحق لنا أن نفعل ما نريد، وأن نمارس حريتنا بلا حدود**

(الشبكة الإسلامية – الأحد: **29/ 09/2002**).

**هل اندهشت أيها القارئ العزيز، أيتها الأخت الكريمة؟ وماذا سيكون رد فعلك إذا علمت أن زنا المحارم قانوني – بحكم أنه مسكوت عنه – في الحضارة الغربية.. ومنطوق بإباحته في بعض البلاد الإسكندنافية، وأن له جذوره من أيام نيرون الروماني، وحتى هذه الأمريكية (العفيفة المتحضرة) التي صفق لها الجمهور؟**

**هل أزيد؟**

## اتركوهنَّ محصنات غافلات مؤمنات

ثمة كائنات معرضة للانقراض في زمننا؛ نتيجة سوء الاستخدام، وجبروت الإنسان، وظلمه للكون الذي سخره الله تعالى له، وأمره بعمارته وإحسان استخدامه..

وثمة نوعيات من البشر معرضة هي الأخرى للتلاشي والانقراض، بسبب عدوان قيم على قيم، وأفكار على أفكار، وعقائد على عقائد، وما يستتبع ذلك من البقاء للأسوأ والأشد فسادًا، تماما عكس نظرية البروفيسور داروين بتاع البقاء للأنسب أو للأصلح كما تشيع بين الناس.

هل لي أن أخرج بنظرية جديدة في العلوم الإنسانية أسميها نظرية (الخفوت والانطفاء) أثبت من خلالها أن البقاء الآن – ولمدة قرن على الأقل – للأسوأ في مجال القيم، وأقرر فيها خفوت أو تلاشي قيم العفاف والجمال والاستقامة وطهارة الذيل؛ بعد سيادة أسلوب الفهلوة – على مستوى الأكثرية – وزوال شيء كان اسمه مكارم الأخلاق، والعيب والعار، (وما يصحش)؛ لأن كل شيء صار يصح، و (كويس، وفيها إيه، والدنيا اتغيرت)؟!

أعتقد أنني أحتاج للتدليل على صدق نظريتي في الخفوت والانطفاء، على الأقل بتقديم جنس واحد من الأجناس المعرضة للانقراض، وأقدم لك قارئي الكريم جنسًا مهددًا اسمه (الغافلات):

والغفلة هنا ليست نوعا من الذُّهان أو الخلل العقلي، بل أعني بها حالة نوع من النساء، صار نادرًا جدًّا، تكون إحداهنَّ خالية الذهن من الفاحشة، سليمة الصدر من الخيالات المنحرفة، لا تفكر في سوء، ولا تطمح بعقلها ولا بقلبها ولا بعينها ولا بأذنها

إلى ما حرم الله تعالى، كعائشة – رضي الله عنها – التي قال فيها حسان رضي الله عنه، الذي كان يؤيده روح القدس:

حَصانٌ.. رزانٌ.. ما تُزنّ بريبة وتصبح غَرثى من لحوم الغوافلِ

وهذا النوع المعرض للانقراض تحدث عنه القرآن الكريم بغيرة شديدة، وتحذيرات صارمة من إهانته، أو المساس به، أو إحراجه؛ لأنه علامة الخير، وخميرة النقاء، وأس السلامة في المجتمعات، يقول الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ، الْغَافِلاتِ، الْمُؤْمِنَاتِ، لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ، وَأَيْدِيهِمْ، وَأَرْجُلُهُم؛ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) النور: 23 – 25.

جنس (الغافلات) جنس أخشى أنه قد بات شديد الندرة، آيلًا للزوال، كما أخشى أن يرد اسمه في الموسوعات على أنه (الله يرحمه)، ساد ثم باد، مع مجموعة أخرى من الأجناس التي (قد) نتناولها إذا أحيانا الكريم، وألهمنا سداد الفكرة، وسلامة النظرة.

هل أنا متشائم بقولي هذا؟

لا أظن، فكل الشواهد تؤكد هذا المعنى، وكل المعطيات (الحدارية) تحرص جهدها على أن تقاوم هذا (الداء) الخطير، الذي اسمه النقاء وسلامة الصدر، وأن تجعل عيون النساء جريئة، وقلوبهنَّ تواقة ميالة، وخواطرهنَّ سباحة في تيارات (الانفتاح الحضاري والحرية الشخصية!)، وباتت تُدخل في نفوسهنَّ وقلوبهنَّ وغرف نومهنَّ ما لا يجوز..

- فبعد أن كنا نسمع عن نساء يعاني أزواجهنَّ منهنَّ في (ليلة الدخلة) لأن إحداهن شديدة الحياء، لا تظن أنها تطيق أن تخفف ثيابها في حضور (رجل غريب)، وربما استمر هذا ليلتين أو ثلاثا حتى يطمئن بالها، ويهدأ روعها – بعد هذا – بتنا ندخل إليهن – عبر الشاشات الفضية والْثِري دِي وصوت دولبي ما يدور بين الرجل وزوجته، وصور النساء في حالات اشتعالهنَّ وتوقهنَّ، وهجومهن على الرجال هائجات شبقات!

- وبتنا نسمع عن الرجل الذي لا يبالي إن كان لخطيبته ماضٍ أو مضارع مستمر – حتى – لأن سيادته متفهم متنور متحدر!! وكان فعل ماضي ما تسيبه ف حاله!
- وكنا نسمع عن المراهق الذي يسأل أباه أو أمه – في براءة – عن أسماء بعض الأعضاء الخاصة؛ بشكل مفاجئ عفوي ساذج، ثم بات معقولًا ما نسمعه من نكات عن أطفال يتحدثون عن (الحب) بلهجة العارفين، وهم دون العاشرة من أعمارهم..

وصرنا نسمع عن صبي معجب بنعومة شعر مدرِّسته، أو بياض بشرتها، أو ذلك الذي يدس يده ليتحسس صدرها، كما رأى في بيت أمه!

وبات معقولًا أن نسمع نكاتا عن أطفال يتحدثون مع (الماما) عن دقائق وخصوصيات، لا تُعرف إلا في خلوة بين زوجين..

- بتنا نشتري لصغيراتنا ثيابا شديدة القصر، شديدة التعرية، بالغة الضيق، ونشتري لهنَّ الأدوات المدرسية المنقوشة بالصور الغرامية والرموز الجنسية، وال (تي – شيرتات) المصور عليها (الوسيم الحليوة) مايكل جاكسون، و "ربة الشرف والعفاف" الآنسة مادونا وشبيهاتها!
- باتت بنات المدارس يتبادلن الأوتوغرافات المليئة بالعبارات الساخنة، المشحونة بالتعبيرات الغرامية الملتهبة، التي تعكس مستوى فكريًّا متخلفا جدًا، ومستوًى عاطفيًّا طموحا جدًّا، والأولاد الذين يرددون أغاني العشق والصخب، ويسمعون آهات عالمية لا يعرفون أبجديتها، لكن يعرفون الريس إلتون جون والمحروسة جانيت جاكسون وسبايس جيرلز، والهَبل بتاع مغني الراي والبوب، والبنات الزلبطة اللاتي يقلدن الأميرة ستيفاني، والأخت ديمي مور.
- وبتنا نطلق مصطلحات مثل: فلانة واعية، وعارفة الدنيا، ولها تجارب.. وصار عاديا في الصحف والمجلات العربية الإسلامية أن تطرح – من عقود – ما يسمى فيها (مشكلات وحلول) عبارات من نوع: تزوجت فتاة ذات ماضٍ/ فتاتي ليست عذراء/ قالت لي: بصراحة أنا كنت على علاقة قبلك/ هل أناقشها في ماضيها؟/ وفيها إيه لما يكون لها ماضٍ؟ أحسن من المنقبة!

ولا يظن ظان أنني أدعو إلى البلاهة، وأن تكون المرأة ساذجة (عبيطة وعلى نياتها)، لكنني أريدها حيية، متوجة بأرقى تاج وأغلى حلية، يمكن أن تتحلى بها أنثى:

غض البصر...

وغض السمع.

وغض الخاطر.

فلا تجول العين – جريئة – فيما حرم الله، ولا تسمع الأذن إلا ما يرضي الله تعالى، ولا يحلق الخاطر إلا في حلال وعفة.

وإذا كان إبليس يدعونا للتعري، فإن الله تعالى يأمرنا بالاستتار..

وإذا كان إبليس يحرضنا على انتهاب اللذائذ واغتنام الفرص، فإن الله تعالى يقول لنا: ما عند الله خير وأبقى..

وإذا كان إبليس يأمرنا بالفحشاء، فإن الله تعالى يأمرنا بطهارة الذيل ونقاوة الضمير..

فمن نطيع إذن؟! الشيطان أم الرحمن؟ الهدى أم الضلالة؟ الأصلح أم الأفسد؟

وعلى كلٍّ فأنا لست يائسا، ولا أظن أن الأجناس الخيرة يمكن أن تتلاشى كلها – بلا استثناء – فلا بد من بقاء عينات يقيم الله تعالى بها الحجة، ويقطع عذر ذوي الأعذار. ولا تزال طائفة من أهل الحق – والخير والعفة – باقية ظاهرة إلى يوم القيامة، بل إن هناك بُشريات تهب من جهة الغرب عن قيام جمعيات ودعوات تنادي بعودة الحياء مرة ثانية إلى الغرب الذي لم يخجل، ولا يحمر وجهه إذا طفح الانفلات والانحراف على وجهه؛ دمامل وبثورًا من الإيدز والشذوذ والعفن الاجتماعي.

عندي بشريات بدعوات من جمعيات عديدة تقول للمرأة: اهمدي، اترزعي، اتلمي، اجلسي في بيتك..

وتقول للمراهقة: حافظي على بكارتك وعفتك وحمرة الخجل في خديك..

وتقول للزوج: لا تكن طرطورًا ولا دلدولًا ولا ديوثا..

ومن هذه الجمعيات جمعية فرنسية تأسست سنة 1993م، وأسمت نفسها جمعية "الحب الحقيقي يستطيع الانتظار"، تضم شبابا بين 17 و 25 سنة يلتزمون – كتابة – بالمحافظة على عفافهم وطهارتهم، لئلا يقوموا بممارسة أي سلوك غير شرعي قبل الزواج.

وقد سبقتها جمعية أخرى في أمريكا تضم حوالي 250.000 شاب وشابة، يجمعهم هدف واحد هو المحافظة على العفة، وتدعو الحركة الفرنسية إلى العودة للقيم العائلية والأخلاقية، وادخار العلاقة لشريك العمر، تعميقا للاحترام والخصوصية.

تقول إحدى المنتسبات للجمعية: أعتقد أن جيلنا قد مل تجاوزات الحرية، فإذا لم يكن لك صديق في المدرسة أو في المعهد فإنك ستبدو في نظر الناس غير عادي، إنك ستواجه الهذيان والترهيب من طرفهم باستمرار، لكن بانخراطنا في هذه الجمعية تخلصنا من عقدة مصطنعة كان ينبغي ألا تكون، وأصبحنا نشعر بأننا غير معزولين!

إنني ما أزال أصرخ في كل مسلمة:

مكانك تحمدي

أو تستريحي..

واحمدي الله تعالى على النعمة.

## الإيمان بالألب.. مش بالحجاب!

أجزم – دون أدنى تردد – أن الثياب التي نلبسها ليست أوعية مجردة من القطن أو الصوف أو البوليسترز.. بل إنها أوعية لما هو أبعد وأهم وأعمق أثرًا.

وأجزم أن لها قيمتها السلوكية والحضارية والاقتصادية والدينية، ولها دلالاتها على التدين أو التهتك، والاستقامة أو التسيب، والرجولة أو التخنث!

فلا شك أن ثياب الشيخ متميزة عن ثياب الحاخام..

وثياب الصالح الطاهر النقي غير ثياب الخنفس والهيبي والبنك PUNK!

وملابس الجندي مجردة من النعومة والأناقة، عكس ثياب البيه المدلل، ابن النخبة المترفة من المجتمع..

لا شك أن ثياب الراقصة الهلوك تختلف عن ثياب العفيفة المحصنة، وحجاب المؤمنة الغافلة غير عري فتاة الليل!

ولا شك كذلك أن النقاب (يقول) ما لا يقوله الخمار، وأن الجلباب السابغ يعبر بلغة مختلفة تمامًا عن لغة الميني أو البيكيني أو (المفيش) لغة اللحم العاري..

بل إن طرائق عقد الكرافتة، وطول البنطلون، أو قصر الثوب، وترتيب الغترة، ووضع العقال، وشكل غطاء الرأس، ووضع الإيشارب على ناحية من الرقبة، لَذواتُ دلالات وتعبيرات لا تخفى عن كل ذي عينين..

فانظر رعاك الله إلى العقال الخليجي تجد أن المشايخ وطلاب العلم لا يضعونه أبدًا – فيما ألاحظ – حتى صار ذلك مما يمتازون به.

لكنك ترى للآخرين فيه مدارس عجيبة: فمن مقتصر على وضعه، ومن مرخٍ وراءه أحبالًا طوالًا تمس أسفل ظهره، ومن مستعرض فيه ومستدِقّ، ومسوّدٍ فيه ومصفّر..

وكل هذا يعكس نمط تفكير وأسلوب حياة..

فليس فيه مكان للصدفة، أو العشوائية، أو الاعتباط!

حتى حين اخترع الأمريكان الجينز والملابس اللامعة المشجرة المزركشة لم يخترعوها (هكذا) بل كانت نتاج فلسفة أخلاقية ودينية وسلوكية، فقد أرادوا أن يُلبسوا المرأة ما يلبس الرجل، فالقماشة التي تفصل منها المرأة فستانها، يخيط الرجل منها – ذاتها – قميصه، والخامة التي يُصنع منها البنطلون للرجل هي – عينها – التي يصنع منها بنطلون المرأة..

لقد أرادوا أن يخشّنوها وينعّموه.. أن يذكّروها ويؤنثوه.. أن يلغوها ويلغوه.. واسألوا جياني فرساتشي، وكيفن كلاين، وإيف سان لوران، ومدام كوكو شانيل!

أهذا كله – كما يشيع – بلا دلالات؟

إننا إذن لا نرى الشمس في الظهيرة.. وهذا ليس عيب الشمس؛ إنما هو عيب العيون الرُّمدِ، والبصائر العُمي!

الموضة التي يحاول أن يروج لها المغالطون (ودعاة التحليل) هي أن الحجاب لا قيمة له ولا معنى، وإذا ما كانت له دلالة – إذا – فهي إما اقتصادية أو سلوكية!

اقتصادية بمعني أن لابسته فقيرة معدمة لا تجد، وأنها تدّرع بجلبابها كي يغنيها عن أطقم السواريه والماتينيه وما بعد الظهر.. والاسترتش و (الشوال) والبلوزة والبنطال!

أو هي لعوب فاسدة (مقطعة السمكة وديلها) لكنها تواري فسادها بالنقاب أو الخمار، فالرقاصة أو لابسة الميني – إذن – أورع وأتقى وأطهر!

وهذا زعم عجيب.. يشبه زعم الكسيح أنه يسبق – جريًا – القروج وعويطة وابن لويس بتاع المنشطات، أو ادعاء الأعمى أنه يثقب اللؤلؤ كما قال الشاعر بشار؛ ساخرًا من أحد المغفلين!

إن الموضة السائرة الآن على ألسنة المستغفلين أن الإيمان في الألب (يقصدون القلب، لا جبال الألب طبعًا) وأن الحجاب قشرة لا جوهر.. وأن رب العالمين رب قلوب.. بس.. وما لوش دعوة بالظاهر!

ومقتضى هذا القول ولازمه أنه ليس مهمًّا أن تحتجب المرأة، أو يستتر الرجل، أو أن نغض البصر، أو نكف الألسنة؛ فالمسألة مسألة قلب..

ومقتضاه ولازمه أن الناس الأعفة (غلطانين جدا) لأنهم لا يبصبصون ولا يتحرشون، ويحرمون أنفسهم من حلاوة المغازلات والمعاكسات، والدردحة والبحبحة.

ويبدو – طبقًا لهذا الاجتهاد الفذ – أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك هذا المعنى، الذي انتبه له البعداء، فأمر بغض البصر، وحجاب المرأة، وستر العورة..

بل – وأستغفر الله تعالى – كأن القرآن الكريم لم يفطن لهذا المعنى حين أمر أمهاتي أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبناته ونساء المؤمنين (يدنين عليهن من جلابيبهن) وعلل ذلك بأن للملابس رسالة أخلاقية هي ردع الفساق، وزجرهم عن التعرض للعفائف: (ذلك أدنى أن يعرفن.. فلا يؤذين)..

- لكن لماذا انتبه الآخرون – إذن – لدلالة الحجاب فقاوموه، وقبحوه، وهاجموه، وتصدوا له، وحرصوا على تعرية نساء المؤمنين؟
- ولماذا اهتموا باللحية أن يزيلوها، والرأس أن يكشفوه، والملابس الواسعة أن يضيقوها ويقصروها ويقلصوها، إذا كان الإيمان في (الألب) وإذا كان هذا قشرة؟
- لماذا دفعوا الألوف والملايين في الأفلام والمسلسلات، وأبعدوا المذيعات المحجبات، وضيقوا على المستترات، ولو بمجرد (إيشارب) إذا كانت القضية قليلة الأهمية ضعيفة الأثر؟
- لماذا عنيت أمنا أمريكا بالحجاب في أفغانستان، وعربستان، وكردستان، والبلقان وأميركاستان؟
- ولماذا فصلت فرنسا التلميذات المحجبات، وأصدر أخيرًا أمرًا قضائيًّا بإلغائه من الحياة العامة بمباركة مسيو شيراك ثم مسيو ساركوزي، ولماذا ضاق عسكر تركيا بمروة قاووقجي؟

وبعدين: ما معنى أن ربنا تبارك وتعالى رب قلوب؟

= أليس هو رب الظواهر أيضًا (ويعلم ما تسرون وما تعلنون)؟

= أليس الشرع شرعه، والأمر أمره، والملك ملكه، والعبيد عبيده؟

= أليس هو سبحانه الأعلم بما يصلحهم ويقيم حياتهم؟ (ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير)؟

إن قضية الظواهر إنما جعلت لنا نحن، أما ربنا تبارك وتعالى فله (الظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم)..

جُعلت لنا قضية الظواهر (والله تعالى يتولى السرائر) حتى لا نصادر النوايا، ولا نشق عن القلوب، ولا نأخذ بالاحتمالات والاشتباه، كالديمقراطيات المعاصرة (العظيمة) التي تمتلئ سجونها بالمشتبه بهم، والذين (يُعتقَد) أنهم يتآمرون، و(يُظَن) أنهم يخططون و (يحتمل) أن يقوموا بأعمال مخالفة، والتي جعلت شعارها أن المسلم متهم ولو ثبتت براءته!!

الغريب أن من القوم من يبتعد أكثر، ويتمادى أكثر وأكثر (ويجتهد) ويقول إن الصلاة من الظاهر، والصيام والزكاة والحج من الظاهر، واحترام الكبير، والأحكام المعلومة من الدين بالضرورة.. كلها ظاهر، وقشرة لا علاقة لها بصلب الدين!

وربما أدت هذه (النظرية الاجتهادية العظيمة) إلى إلغاء الدين كله – عقيدة وعبادة ومعاملة – *والمحافظة على البتاع اللي اسمه الإيمان في (الألب)*..

وبلا دين.. بلا وجع راس.. إنا لله وإنا إليه راجعون!

## التي غلبت الشيطان

### اللي يريحكم اتعبوه، واللي يتعبكم ريحوه!

■■ صناعة النكتة فن مصري أصيل، تخصص فيه العامة والخاصة، حتى إن العالم ليكاد يسلم لهم بخفة الدم، وطول اللسان، والتعليق الموجع الذي يلخص الأحداث في سخرية ولامبالاة ■■

وهم لا يرحمون أحدًا من طول ألسنتهم، على مذهب الحطيئة الذي هجا كل شيء – حتى نفسه – فنكتهم السياسية لا تدع أحدًا دون أن تلسعه، من أعلى السلم السياسي حتى أسفله.

والنكت الاجتماعية تمس كل الطبقات والمستويات: الصعايدة والبحاروة، والشراقوة والدماهرة، والأفندية والصيع، والساسة والرعية، والبهوات والمساكين؛ لا فرق، فالكل تحت همّ النكتة مصريون.

وكما يحسن العوام فن النكتة فإن لهم فنًّا آخر يتقنونه، ويخرجونه ثمرة تراكم الخبرات ومراقبة حركة المجتمع، فيلخصون وجهات نظرهم العفوية في عبارات مركزة طريفة، تجمع بين الخبرة والسخرية، وبين التوجيه واللذع، والنصيحة والعتاب.

هذا الفن هو فن المثل: حكمة العامة، وعصارة تجارب أهل التجربة.

وقد رفض الوجدان الشعبي المصري – قبل خمسين سنة طبعًا – خروج المرأة، واختلاطها بالرجال، وصاغ هذا الرفض في عبارات صريحة وجارحة أحيانًا، وغير مباشرة في أحيان أخرى، فالمرأة اللي تخرج من دارها.. ينقلّ مقدارها؛ إذ تجلب لنفسها الهوان، وتسقط منزلتها عند الناس..

بل إن خروجها من دارها لن يكسبها غير السلبية وقلة الفائدة، والتقصير في حق أهم الناس في حياتها: أبنائها فلذات الأكباد عمر الدوّارة ما تربي كتاكيت؛ لأن تربية الكتاكيت – الأبناء – تحتاج إلى اهتمام وتفرغ، لا إلى تجوال بالأسواق والمجالس.

وربما حصل الشر وجاء الخطر، فالدوارة قد ترى في الدنيا ما يحسُن في عينيها، فتطمح ببصرها إلي غير رجلها – سَبْعها – فتتمنى وتشتهي، وتحدثها نفسها بالسوء ومعصية الله عز وجل: [مرَتك ما تزوّرهاش في البلد اللي ما تعرفهاش، لا تشوف أبو طربوش، تقول: أكِنّا ما اتجوزناش] فالدنيا مليئة بمن هم أغنى وأقوى وأوسم من الزوج، الذي لا تحلو الحياة إلا بالرضا به، واحتماله؛ على ما فيه.

بل إن الأمر قد يتعدى مجرد التمني والاشتهاء، ليحصل ما لا يحمد ولا يجمل ولا يحل، فقد تجد من كثيرات الخروج واحدة [طلعت تترحم، نزلت تتوحم]..

فرغم أنها ذاهبة إلى المقابر لزيارة الموتى – وكفى بالموت واعظًا – فإنها لم تتعظ، ولم تنزجر، بل انزلقت في الخيانة، وكبرت الثمرة في بطنها، ليس هذا فقط، بل إنها قد تنسى الأمر العظيم، ذا الأهمية الكبيرة فربما [راحت تاخد بتار أبوها، رجعت حِبلة].

ولذلك فإنهم ينصحون الرجل أن يحفظ زوجته من أن تكون خراجة ولاجة، ليريح نفسه من وجع الدماغ فيقولون له: [امسك صباعك صحيح؛ لا يدمى ولا يصيح] ورأوا أن بقاء المرأة في بيتها واستقرارها لتربية أبنائها، يجعلها حرة كريمة، ويرفع من قدرها وذكرها [إيه يحرر النسا؟ آل: بُعد الرجال عنهم] فبذلك لن ترقى إليها شبهة، ولن يمسها غبار سوء..

أما لو اختلطت فإن المكائد ستكثر، والحيل ستتوالى؛ خصوصًا وقد شاع أن [كيد النسا غلب كيد الرجال] بل إن [كيد المرَه غلب كيد الشيطان] نفسه.

وفي ذلك يروون حكاية لطيفة تبين أنها تغلب الشيطان فضلًا عن بني الإنسان، أسوقها ناقلًا، لا موافقًا:

جاء إبليس – عليه لعائن الله – لجمع من النساء كن مجتمعات في عزاء، واجتماع النساء فرصة للثرثرة وتبادل وجهات النظر، فاغتنم اللعين هذا التجمع، ونصح الجالسات جملة نصائح:

اسمعن سيداتي: تعلمن مدى حبي لكن، وحرصي عليكن، ورغبتي التي لا تقاوم في إسعادكن.. وأتمنى عليكم أيتها الجميلات أن ترهفن أسماعكن لهذه النصائح التي ستجلب لكن الهناء، وتجعل أزواجكن عجينة لينة في أيديكن، أو كالخواتم في أصابعكن:

يا كل سيدة: انتبهي لزوجك وكوني يقظة [قصقصي ريشه أول بأول لا يطير منك] ولا تُتحن لهم فرصة للتنفس؛ فالرجل [يا قادر يا فاجر]. وأهم نصائحي لكن أيتها الغاليات: [اللي يريحكم اتعبوه، واللي يتعبكم ريحوه]، وباي، تصبحن على شر، ويمسيكن بالقرف!

وبعد ما انفض المجلس، صممت امرأة أروبة أن تلقنه درسًا، فرجته أن يوصلها إلى دارها.. وبنخوة شيطانية لئيمة سار معها إلى الدار، فما إن اقتربت من الباب، حتى تذكرت أنها نسيت المفتاح في المنزل الذي كانت به:

- ياه.. أنا متأسفة خالص، لازم أرجع اجيب المفتاح.

– وما له.. لا شيء يضر.. خلينا نتسلى في الطريق سوا. ورجعا إلى حيث وجدت المفتاح، ثم قالت في اعتذار:

- معلهش.. والله أنا خجلانة منك.. ممكن توصلني تاني.. لأن الدنيا ليل، وأنا باخاف من الضلمة موت.

– بشيء من الاستثقال: لا بأس.. وماله.. أهي حتى رياضة.

وسارت معه، حتى إذا ما بلغت باب الدار ذكرت أنها خرجت دون استئذان صاحبة البيت..

- يا كسوفي.. أودّي وشي فين من أم مرسي؟ معلهش لازم أرجع أسلم عليها، وأودعها، بس مش معقول أمشي بالليل كدا لوحدي.

– بس أنت بتنسي كتير أوي.. أوكيه.. يا للا..

وعادا فسلمت على صاحبة المنزل، والتفتت إليه:

- أظن اللي عمل جميل يتمه، أحسن تموت أمه.. هه.. هتوصلني؟

– أووف.. ياللا يا ستي.. وسارا وهو يحدث نفسه من الوجع، فلما وصلا ضربت المرأة جبهتها:

- ياه.. ياه نسيت..

– لأ بقى.. إسمعي.. مش هاوصلك تاني.. يعني مش هاوصلك.. إنت بتعملي فيّ كدا ليه..

- إيه.. مش إنت من شوية قلت لنا:

اللي يريحكم اتعبوه، واللي يتعبكم ريحوه!

يا كل المتعبات: بليز ارحمن التعبانين.. الله يهديكن.. آمين.

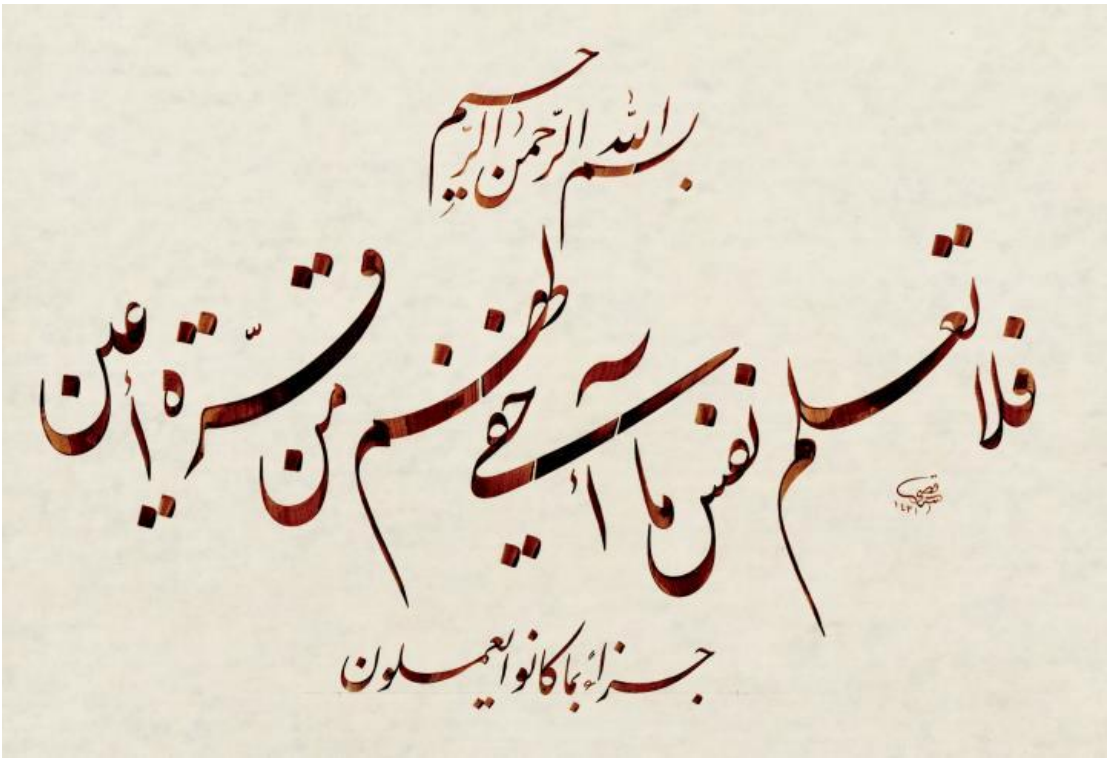

حين يقع الإنسان النقي في معصية فاضحة – لأول مرة – فإنه يخجل من نفسه وضعفه، ويتواري، ويحمل هم العيون اللائمة، والألسنة الشاتمة، والألفاظ الموجعة.. لكنه بعد أن يتلوث ويتمادى، ويعتاد الذنب ويستمرئه، ويستحليه ويتجارى فيه، فإنه يملك من الجرأة والوقاحة ما يجعله يتعالن بالمعصية.. ويتباهى بها.. ويَجْبه من يلومه عليها.. ويسلقه بلسانه الحاد:

أنا حر.. إيه دخلك؟ انت مال أهلك يا أخي؟ اضرب راسك في الحيطة.. أيوه أنا بتاع ستات وخمرة، أزني وأشرب، واعمل اللي أنا عايزه، واللي تقدر عليه اعمله!

هكذا فعلت امرأة نخبوية من مجتمع الإيتيكيت المخملي.. مجتمع الشوكة والسكين.. والطنافس والزرابي.. والخدم والحشم.. والغيبة والنميمة.. وَحَشّ الأعراض، وأكل لحوم الأصدقاء..

مجتمع بعض الرجال الأنطاع القرنانين، الذين لا يغار أحدهم على أهله؛ حتى إذا (تأكد) أنها على ريبة؛ بل يكتفي – لكونه متحررًا تقدميًّا – بمعاتبتها، قائلا بحنان وتحضر:

(عيب يا سوسو.. ما تعمليش كدا تاني!).

تماما كما فعل (العزيز!) الذي لم يغر كثيرًا، حين بدا له الدليل القاطع على أن امرأته – السيدة الأولى – امرأة خبّاصة ومنحلة وجريئة و(عينها زايغة) وأنها نصبت شباكها حول الفتى البريء يوسف (عليه السلام) لتنتهك براءته ونقاءه.

المشكلة في السيدة الأولى زوجة العزيز أنها حين افُتضح أمرها لم تخجل وتطأطئ رأسها؛ بل قالت في صلف وقح:

نعم أنا كِدته.. وتآمرت عليه.. وراودته عن نفسه.. و(مش هاسيبه) سأظل كذلك حتى يفعل اللي ف بالي، و(لئن لم يفعل) هاخرب بيته، وأذله، وأحبسه، واودّيه ورا الشمس..

هكذا جهارًا نهارًا.. عيانًا بيانًا.. لا خجل، ولا اعتذار، ولا مواربة ولا احمرار وجه.. وبعدة صيغ توكيد لكلامها: (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن.. وليكونن من الصاغرين)! وفعلا نفذت تهديدها.. وسجنت – بنفوذها وبمنتهى اللؤم والوقاحة – الشاب الكريم البريء الطاهر العفيف.

لن أسرد العديد من النخبويات اللاتي كررن الدور نفسه في حاضرنا البئيس التعيس.. مثل سلاسل الفنانات اللواتي يغيّرن الرجال كما يغيرن الجوارب والفساتين، والليدي ديانا بنت سبنسر اللي اعترفت ع الهوا، و(المدامات) اللواتي ارتبطن علنًا بكنيدي وميتران وسميث وميجور وبرنس شارلز والريس كلينتون وبتاع اليونان والخباصين الآخرين..

لكن يفري كبدي، ويرفع ضغطي، ويدفعني لمسارب القهر والقرف والغثيان جرأة بعض (الفنانات المبدعات المستنيرات) وانحسار الحياء تمامًا من وجوههن، وطول ألسنتهن في الإدلاء بتصريحات أشد جرأة مما صرحت به امرأة العزيز – رحمها الله – التي صرحت مرة.. مرة واحدة، وبين عدد قليل من النسوة في جلسة نميمة راقية..

إن من زلائخ الفن اللواتي يطيّر ألبابهن الظهور في تلفزيون أو على صفحة مجلة.. أو جريدة.. أو (التقصّع أمام كاميرا) من تدفع لمن يستضيفها.. وتشتري المذيع – في كثير من الأحيان – بمال كثير كثير.. لكي تقول أكثر مما قالت السيدة

**الأولى زليخة، وتصرح بأفظع مما صرحت.. ولكي تُظهر من جسدها ومفاتنها وتكسرها ما لم تحلم بإظهاره زلّوخ امرأة العزيز..**

**وخذ عندك سيدي من التصريحات الفكرية و(الفنية) العجيبة الغريبة الموثقة من أفواههن " الطاهرة ":**

- **ليس في العلاقة الجنسية محرمات على الإطلاق.. فكل ما تتحقق به المتعة لا يصح منعه ولا تجريمه؟ ن. س**
- **الفنانة لا بد أن تكون صايعة – بهذه اللفظة والله – بلا بيت أولاد ولا زوج ولا مسؤوليات. إ. ط**
- **لماذا هذا السؤال؟ أتحداكم أن تأتوني من داخل الوسط الفني بعذراء واحدة! ل.ع**
- **الرقص الشرقي فن سام راق؛ فلماذا أخجل منه؟ أتمنى أن أموت وأنا أرقص! ن. ف**
- **اتفرجوا على الرقص وهيصوا.. قبل ما اعملها واتحجب! ف.ع**
- **حين يحتضنني البطل أو يقبلني لا أشعر أنني أمام (فلان الممثل) بل أمام شخصية غير حقيقية.. بل نحن نمثل ونتفاعل مع الدور! م. ز**
- **أنا مارلين مونرو العرب!...ع**
- **لا تلوموني على التعري بالكامل في الفيلم.. لأن هذا طلب المخرج وكاتب القصة.. والعقد يشترط هذا.. إيه ذنبي.. حاسبوهم؟ م. ز**
- **ومن بره.. من بلاد التحدر والإباحية خذوا هذه:**
- **ماذا تحبين في بطل الفيلم؟ الفحولة! وماذا تحبين في المخرج؟ الفحولة! وماذا تفضلين في المنتج؟ برضه الفحولة!**
- **إذا اقتضى الفيلم مشاهد جنسية صارخة وكاملة فإنني أُخرج من الأستوديو (اللي مالهومش لازمة) فلا يبقى إلا عدد قليل من الناس، ليتم الأمر كما ينبغي.. فأنا أستحي!**

- **ليش البنت تستعجل.. بعد سن (...) هي حرة تمامًا؛ فلتفعل بنفسها ما تشاء؟ هـ. ك**

**النماذج كثيرة، ومُغْثِية ومستفزة ومتحدية للقيم والمروءات والعفاف.. وقبل ذلك كله لدين الله عز وجل..**

**والزلائخ كثيرات، والقرنانون كثيرون، والمتاجرون باللحم الأبيض المبتذل أكثر وأكثر.. والمشكلة الكبيرة في التعالن، عبر الفضائيات التلفزيونات ودور السينما وألبومات الفيديو كليب..**

**والمشكلة أيضا في الاستباحة والتطاول.. ثم في فشو الفساد؛ ما ينذر بضرب البشرية بالطاعون والأمراض التي لم تكن فيمن قبلهم..**

**إن نموذج زليخة القديم كاد يكون فرديًّا حتى ضُرب مثلًا.. أما في زماننا فإن الشيطان ووكلاءه قد جيشوا جيوشًا تتلوها جيوش من الفاتنات المفتونات، لنقض عرى الفضيلة والحياء والعفاف عروة عروة؛ بتخطيط أدق، ومكر أوسع، ونفَس أطول، وجمهور أعرض، وتأثير أبلغ.. حتى إنني أزعم أننا لو نظرنا في عمر أمة الإسلام الآن (1423 سنة) فسنجد أنه خسر في السنين الثلاث والعشرين الأخيرة ما لم يخسره في السنين الألف والأربعمائة السابقة عليها..**

**مرة ثانية: *23 سنة أفدح خسارة وأنفذ طعنًا في جسد الإسلام من 1400 سنة*، وذلك كله بسبب (النيلة) التلفزيون والإعلام المرئي، الذي أدمنت الأمة قماماته وفضلاته..**

**ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..**

**فاللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.. وأعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.. اللهم آمين.**

أرجو ألا أكون مسرفًا في القول إذا زعمتُ أن الناس مع الكبر والتكاثر في نبأ عجيب، يتباهى أحدهم بما لا يُعقل، ويتشبع بما لم يعط، ويتكاثر بما لا يُتكاثر به.. بل بما لا يجوز التكاثر به..

فكم من رجل تباهى برقم بيجر أو هاتف، أو موديل سيارة..

بل قد سمعت أن أحد (الفاضيين) اشترى رقم سيارة لافتًا – مجرد رقم سيارة – نخمسة وعشرين مليونًا من الدراهم/ الريالات؛ عدًّا ونقدًا!

وكم من آدمي يتباهى بليلة مع الشيطان، وسهرة مع مدمنين ضائعين!

وكم من امرأة تكاثرت بما ليس معها ولا فيها، أو باهت بما في يدي سَبعِها (الدفيان) الذي عنده من الخير ما يزاحم به ويكاثر قارون سليل المتبطرين، وأوناسيس زوج جاكلين، والأمريكي العفريت بيل جيتس الذي يدخل عليه كل عام – اللهم لا حسد – ما لا يدخل عدة دول من دول العالم الثالث (بعد المائة) من تلك التي باض فيها الفساد والظلم الاجتماعي وفرخا..

ومما رأيت الناس الأغنياء يباهون به: عدد الأجراء الموجودين داخل بيوتهم.. من خادمٍ لطباخ لزرّاع لسواق لكوّاء لِ(بُوي) على أساس أن ذلك من أشكال الوجاهة، وأدلة النعيم والبلهنية!

وكثيرًا ما يمُنح هذا (البوي) أو الخادم من الصلاحيات ما يفوق التصور، حتى إنه يدخل على النساء والبنات، المتخففات المتبذلات، بمنتهى الحرية، بحكم أنه (مضمون وأمين/ خدام/ مب ريّال/ مش راجل/ هندي)؛ ليرى، ويطّلع، ويمس،

ويتجاوز، ويبالغ في التجاوز، مع الإصرار على دعوى أنه شخص ثقة ومضمون!

وكم جر هذا من فضائح وفظائع، وحوادث وكوارث..

وتبًّا للوجاهة إذا كان ثمنها عرضًا يتسخ.. وسيرة تسوء.. وأسرارًا تلوكها الألسنة.. وكبائر نلقى بها من لا تخفى عليه خافية..

وفي الارتكاس والسقوط يستوي الغني والفقير، والقادرة والقاصرة/ يستوي القوي المكين، والفقير المسكين/ تستوي ست الستات ونخالة البنات!

فلا أحد أكبر من أن يسقط، أو يراوِد أو يراوَد، أو يَتآمر أو يُتآمر عليه؟

ما ينبغي لنا – وما نستطيع – أن نقول إن فلانًا رجل كبير المقام، محترم السلوك، ويستحيل أن يفكر في التحرش بخادمة!

وما ينبغي لنا – وما نستطيع – أن نقول إنها هانم و(ليدي) ومن بيت كبير، وإنه مجرد خدام، لا يخطر ببالها، ولا تنزل من عليائها إلى مستواه!

لا نستطيع – عقلًا وواقعًا:

ألا تذكرون قصة سيدنا يوسف عليه السلام؛ وهو من هو؛ عفة وطهارة ذيل؟

ألا تتذكرون البلاء المبين الذي تعرض له؟

وعلى يد من!؟ امرأة العزيز!

ومن في القوة والتمكن، وضرورة الاستعلاء والترفع، والمحافظة على (البرستيج) كامرأة العزيز؛ السيدة الأولى!؟

ومع كونها السيدة الأولى، الآمرة الناهية، التي تتلعب بسيدات المجتمع، وتستعرض وضعها أمام بنات الطبقات المترفة اللاتي يأكلن بالشوكة والسكين.. لم يمنعها مركزها، ولا منصب زوجها (العزيز/ الوزير الأول/ رئيس الوزراء/ كاتب الدولة/ الصدر الأعظم/ مستر برايم منستر) أن تكيد كيدًا عظيمًا، وتمكر مكرًا كبارًا، وتتهيأ، وتخطط، وتتآمر، وتنفذ، وتدعي، وتتبجح، وتلقي التهمة على الشاب البريء، و(تُلبسه) مصيبة، مدعية أنه أراد بربة الصون والعفاف سوءًا، و(تُلبثه) في السجن بضع سنين!

ألم يُخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك المخنثَ المأمون، لمجرد كونه وصف

**امرأة وصفًا دقيقًا؟ (عليك بفلانة، فإنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمانٍ)!**

**وقبل ذلك زنت سيدة من سيدات العرب اسمها هند بنت الخس مع عبد من عبيدها.. فقيل لها: لم زنيت وأنت سيدة، وهو عبد (فين السيادة؟ فين الكفاءة؟ فين الشرف والحياء؟ فين النفخة الكدابة؟).**

**فكان ردها القاطع الجلي: إنه الاختلاط، وكثرة التماس التي تُحدث التطبيع، وتقتل الإحساس، كان ردها: (كثرة السواد، وقرب الوساد)!**

***اسمعوا هذه وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله!***

**من الطيبين من كان يشتكي صدره الذي لا يرحمه إيجاعًا وإزعاجًا.. وحار المعالجون في علاجه.. ثم ألهم الله أحد الأطباء أن يشك في عفاف الرجل البريء النقي، الذي لم يحل إزاره على حرام؛ ليتضح أنه مؤيدز.. وأنه إيجابي يحمل فيَرس إتش آي في، الذي يعاقب الله تعالى به الشواذ، والمدمنين، والداعرين المستكثرين من الفاحشة..**

**وما للرجل الطيب وهذا البلاء!؟**

**وبالتقصي يضيق مجال الشبهة حتى ينحصر في الزوجة، التي اتضح أنها (عَكّت) مع خادمها الهندي (المب رجال/ مش راجل!) الذي يعمل بهمة، حتى أعدى خمسًا وثلاثين خائنة!**

**وإنا لله وإنا إليه راجعون!**

**سيدنا الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله، له مبدأ عجيب مفيد، أورده في طوق خلاصته *أن الإنسان قد يمتنع ويتأبى على حل إزاره في الحرام.. مرة ومرة ومرة..***

***لكنه إذا خُولِطَ، وموزح، وتجووز معه، المرة بعد المرة، فإن أسوار مناعته تتهاوى، وقوة إرادته تتبدد؛ ليسقط فيما ليس منه بد؛ مهما كان عفيفًا وحريصًا، ومتباعدًا!***

**ومن هنا قيد الشرع اختلاط الرجال بالنساء، وفرض عليهم غض البصر، وقيّد نبرة الصوت، والمشية، وصوت كعب الحذاء، ونفحة العطر، ومنع خيانة الأذن وسائر الجوارح!**

**لطالما والله سمعنا عن انتهاك شبان البيت – بل ورب البيت – للخادمات!**

**وطالما سمعنا عن خادمة تتحول – بعد – إلى زوج لمخدومها..**

**وطالما سمعنا عن خدم يعرفون من أسرار البيت ما لا يعرفه صاحب البيت.. يعرفون، ويتناقلون مع (جماعتهم/ شلتهم) الأسرار كلها، لتتحول خصوصيات البيوت، وسير أرباب البيوت إلى (لبانة) يمضغها (الثقات) من الهنود والفلبينيين، والباتان والبنغال، والبلوش وأهل نيبال!**

**وكم اتضح أن من هؤلاء أناسًا ما جاؤوا صدفة، ولا دخلوا بحثًا عن لقمة عيش، ولا هم أبرياء ولا أطهار الطوايا.. إنما هم بين جاسوس، ومنصّر، أو داعية لدينه، أو فاجر متأيدز، يستخدم منهج شمشون (عليّ وعلى المسلمين يا دليلة) مثل ذلك الهندي الذي (أَيْدَزَ) خمسًا وثلاثين امرأة!**

**إن حكاية الخدم قضية تحتاج أن ننظر إليها من زوايا عقيدية وأخلاقية وتربوية؛ قبل أن نحسب كم يستهلكون من اقتصادنا، وكم يحولون من أموالنا، وكم وكم مما يصرخ به ضيوف التلفزيون الذين يهتمون بالفلوس أكثر مما يهتمون بالنفوس!!**

**الأموال والاقتصاد ليست أهم من الدين والعرض، وليست أولى – بأي ميزان – من سلامة المسلم في الدنيا والآخرة..**

**وإنني – بالفعل – لم أكد أسمع بمسؤول يقول إن هؤلاء ضرر على الدين، وعلى تربية الأجيال، وعلى الصحة العامة..**

**بل الكلام كله عن الآثار الاقتصادية، وكم يحوّلون، وكم يستهلكون!**

**ما علينا.. دعونا نقرر أن الخدم بلاء، وأن مخالطتهم النساء في البيوت – والبنات الأبكار – شر وفتنة، وأنهم أضر من الإنفلونزا، والصداع، وأننا نحتاج إلى أن نريح رؤوسنا، ونحفظ بيوتنا، ونحصن نساءنا.. حتى لو كان الأمر مجرد شبهة واحتمال؛**

***[فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه..] اللهم عفوك وعافيتك يا كريم.***

## مرة بميت راجل:

فرق كبير بين ما يقوله العامة عندنا وبين هؤلاء..

فرق بين قولهم: دي مرة ولا بميت رجل؛ أي إنها ذات همة، وقوة شخصية، وعفة تجعلنا لا نخاف على عرضها؛ وإن كنت لا أبتلع بسهولة ظاهر هذا الكلام.

فرق بين هذه المقصودة وبين المرأة التي لها عضلات ومجانص – في جسمها وعقلها ونفسيتها – من لاعبات الملاكمة والكاراتيه والمصارعة الحرة، وممارسات الفكر الحر، وصاحبات النهي والأمر.

أسبح الله تعالى، القادر على كل شيء، حين أرى الست كوندوليسا رايس وهي تمشي مثل (الظابط) رافعة الرأس، واثقة الخطوة، رنانة الكعب، واسعة الابتسامة..

أعجب، وأسبح الله تعالى الذي خلق المرأة (أحيانا) بميت راجل، بل بمليون، كما يشي بذلك واقع الحال.

أذكر الكابتن كوندوليسا، والجنرال مادلين أولبرايت، وهي جالسة مثل (دكر البط المزغط) وقد وضعت ساقا على ساق، وملأت وجهها ابتسامةٌ عريضة، ولا يصدر منها غير (الشخط والنطر) والنواهي والأوامر، والأحكام والحِكَمَ، فأسبّح الله تعالى، وأحوقل مستعيذًا من انقلاب الأحوال، وتغير أشكال الرجال.

وتطفو على الذاكرة صورة سيدة الحسن والجمال جولدا بنت مائير التي رمتنا في البحر بدل أن نرميها، و "بهدلتنا" بدل أن "نبهدلها" وهزمتنا فسمينا الهزيمة نكسة، وتسليْنَا عن (وكْسَتِنا) بالست أم كلثوم، والرقص الشعبي، وخضرة محمد خضر!

ويحمر وجهي حياءً وانكسارًا حين أجد من نسائنا درويشات لا يعرفن الفرق بين حَظَّابِطْ كوندوليسا ودواء الإسهال، ولا يفكرن في واقع ولا قائم، ولا الأمَّة ولا البطيخ، ولا يشغلهن إلا نتف ريش الزوج – عدوهن الأول – حتى لا يطير!

أنكسر حين أرى متفرنجات بغلوّ مضحك، و"هبَل" يدل على سخافة في العقل، وخفة في الدين، فكل شيء – عندهن – من الغرب يسر القلب، ويفرج الكرب، ويجلب المناصب العلا؛ وإن كان دمارًا للبيت، وإضاعة للأولاد، وإشاعة للأعراض!

أو حين أرى نساء جريئات كل بضاعتهن الجرأة، والتشبع بما لم يعطين، وادعاء (السكافة) من خلال بعض الكليشيهات والجمل المحفوظة..

وليس هذا محل الشاهد في كلامي، إنما أريد أن أطرح سؤالًا:

لماذا هذا الاستعلاء في مشية كوندوليسا وأخواتها: في كلماتها وحركاتها، وفي أوامرها ونواهيها؟

لماذا ينكمش أمامهن الديوك المزهوَّة، وساداتنا وكبراؤنا جلادو الشعوب، ويجلسون أمامهن بأدب، واحترام نفس، كأنهم أطفال في الصف الأول بمدرسة ابتدائية!

إنني أتذكر بهنَّ زوجة العمدة، حين ترى من حقها أن "تشخط وتنطر" وتنهى وتأمر، اعتزازًا بقوة زوجها، و"عزوة" قومها، حتى وإن كانت زوجة العمدة هذه في شكل وابور الجاز.. إنها – ببساطة –: مِرات حضرة العمدة!

كذلك جولدا ومادلين وكوندوليسا، وشبيهاتهن من اللواتي لا تساوي إحداهن (شلنا ممسوحا) في دنيا الأنوثة والرقة، لكن (زوجة العمدة) منه تستمد شرفها، وقوتها، وصوتها العالي، ونبرتها الآمرة الزاجرة الفا.....

إن كوندوليسا بنتٌ لأنكل سام، صاحب القبضة الحديدية، والغضبة الأنجلو سكسونية، وإن أولبرايت جمعت إلى ذلك الأرومة اليهودية، والجلافة البولندية، أما أمنا الغولة – آسف جولدا بنت مائير – فأضافت إلى هذا كله السحنة الرجالية، و"خيبتنا القوية".

هل نسيت هنا أحدًا؟! وهل ينسى الملدوغ البارونة تاتشر التي بسطت سطوتها من 10 داوننج استريت حتى جزر الفوكلاند لتختم – بعد أحداث 11 سبتمبر – بالغمز في الإسلام وإهانة أهله، ليسكت الله حسها دون عودة؟

على كل حال: حِنّا أسود البوادي.. صح يا رجال؟

## وأسلمت مع سليمان

بقدر حُمق (الرجال) الذين رفسوا النعمة، وكرهوا المنة، وتبطروا وأشروا، واشتاقوا للصحراء والضِّباب والخنافس، والأثل والسدر، (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا، وظلموا أنفسهم).. وظلمونا معهم – كما ظلموا اليمن كلها – بقدر ما كانت هذه المرأة حصيفة رشيدة، حكيمة سديدة، موفقة أريبة!

وهذا العقل، وهذا السداد والرشاد ربما هو الذي دعا قومها إلى أن يسلموها أزمّتهم، ويعطوها دفّتهم؛ لأنهم – والعلم عند الله – لم يكن فيهم (ديك) يرجحها عقلًا، ويسبقها رأيًا، ويزنها اتزانًا!

وكتاب الله تعالى كتاب عجيب في التوثيق، عجيب في النقل، عجيب في الوصف، وفي الحكم والإنصاف؛ فقد شهد لهذه المرأة الفذة شهادات يتمناها كل رجل عاقل، منصف من نفسه ومن رجاحة الرأي واتزان التفكير.

وينقل كتاب الله العظيم عن بلقيس نقولًا تجعلنا كأنّا نرى مجلس حكمها رأي العين، ونعيش مناقشاتها الرزينة بدقة باهرة:

فهي تخاطب مستشاريها ووجوه قومها على طريقتنا العصرية (ليديز آن جنتلمن) أيها السادة: (يأيها الملأ) والملأ وجوه الناس وكبراؤهم.

ولم يستفزها ويُعم بصيرتها ما يسمى في المصطلح البوليسي الحالي (هيبة الدولة) التي تجعل بعض الناس كالعقارب يأكلون أبناءهم، ويذبحون فلذات أكبادهم..

فقالت في رقة أنثوية: (إني ألقي إلي كتاب كريم...) محتواه كذا وكذا وكذا!

ثم انثنت على الليديز والجنتلمن (الملأ) طالبة المشورة، في أداء شوريٍّ رفيع (أفتوني في أمري؛ ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون) ربما لترسي أول مجلس شورى عربي على الإطلاق؛ حيث كان الرأي رأي شيخ القبيلة الذي يستطيع – بعنجهيته وكبره وانتفاخه الغبي – أن يلقي بقومه جميعًا في جحيم الاستئصال، ولظى الثأر الذي لا يرتوي:

يا لبكر انشروا لي كليبا.....

ألا لا يجهلن أحد علينا.....فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وأحيانا على بكر أخينا.....إذا لم نجد إلا أخانا

حِنّا للسيف للسيف.....صح يا رجال؟

ولم يخيب الرجال (الديوك) الظن التاريخي فيهم؛ فألقوا إليها السلَم، ورموا عليها الحمل، وقالوا بكل كبرياء وفحولة: إنتِ المخ وإحنا العضلات/ أنتِ الفهم والرؤية.. ونحن الحناجر والخناجر/ أنت العقل ونحن السيف/ أنت التشريع ونحن التنفيذ/ الرأي رأيك والشور شورك (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين)!

وبقيت بلقيس على حصافتها.. فلم يُزهِها خضوع الديكة، ولا استنواق الجمال، ولم تذهب ببُعد نظرها الاستكانةُ الذكورية، فألقت بحكمتها النافذة التي أقرها عليها القرآن الكريم، ووافقها وأكدها:

(إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها.. وجعلوا أعزة أهلها أذلة.... وكذلك يفعلون) والملوك هنا هم كل صاحب مُلك عضود، فرعوني، هتلري (مهما كانت شعاراته الإعلامية، وأغطيته القانونية)..

على طريقة صاحبنا فرعون الذي استأصل جيلًا كاملًا من الرضّع؛ خوفًا وارتعابًا مما يشكلون من تهديد لوجوده!/ وهو الذي قال في ديمقراطية مدهشة (ما أريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد!)/ والذي عبّد الناس له، وأسجدهم لجبروته (ما علمت لكم من إله غيري) (أنا ربكم الأعلى)..

وأراد أن يتحكم حتى في مؤشر الإيمان ودرجته في القلوب؛ فلا يجوز إيمان إلا بإذنه، ولا رجعةٌ لله الحق إلا بمشيئته، ولا يجوز أن يصدر الناس عن عقيدة بغير

فرمان؛ حتى إخبات القلوب، وإيمان النفوس، وتطامن الجوارح ينبغي أن يكون بإذن منه!

ثم تستخدم المرأة الذكية دبلوماسية (أطعم الفم تستح العين) أو ما نسميه في زماننا بالرشوة، فتجمع من خيرات اليمن ما تظن أن لعاب سليمان (عليه الصلاة والسلام) سيسيل له؛ ظانة أنه ممن يحافظون على أموال قومه (أوفر سيز) وهي تعلم كم يدور الناس مع الدولار، ويدينون للدينار، ويهتمون للدرهم، ويجنّون بالجنيه، وتربو مطامعهم لمرأى الروبية؛ غير متوقعة أن سليمان عليه السلام قد أوتي من الملك والإمكان مالم يؤته أحد قبله، ولن يؤتاه ملك بعده!

وما ظنك برجل سخر الله له الجن والإنس والطير.. والشياطين المشيطنة والعفاريت المعفرتة.. ويسمع بنفسه ما تعجز عن سماعه الـ CIA والموساد وال KGB الهالك وما شابه ذلك.. وهل تسمع مخابرات الدنيا كلها كلام النمل، وهو عالَم واحد مما كان يسمع عليه السلام، ومما سُخر له!؟

ترسل بلقيس مع وفد من الملأ رشوتها في شكل هدية باذخة، لتجس النبض، وتقيس رد الفعل (فناظرة بم يرجع المرسلون) ولسان حالها يقول: لئن كان هذا الملك طماعًا جماعًا كنازًا فقد اتقينا شره، وإلا فكرنا في أساليب أخرى أعظم تأثيرًا، وأنجع طبا!

وحين لم يرجع الرسل إلا بالجبْهِ، والخيبة، والانبهار بملك سليمان عليه السلام، وقدراته العسكرية التي فيها عفاريت وبشر تنتقل من وإلى الشام، وأرجاء المسكونة كلها في لمح البصر، قررت أن تذهب بنفسها لمقابلة نبي الله عليه السلام، لترى من آيات الله حين يكرم أنبياءه.. ولتشهد تواضع القادرين، وزهد الأنبياء الشاكرين..

وهنا ينفعها عقلها، ويدفعها قلبها لتعترف أنها – رغم ذكائها، وتسيدها على قومها – قد ظلمت نفسها، وضلت عن هداها.. فتعلنها على الملأ بلقاءَ جلية:

(رب إني ظلمت نفسي، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين).

ولتثبت في النهاية أنها أحسن من (ستّميت فرعون) ذكر، ومن ملء الأرض من كسرى وقيصر، وغيرهم من الفحول الذين لم يفهموا ما فهمت.. ويروا ما رأت.. ويوقنوا ما أيقنت؛ حين أعلنتها مدوية: (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)!

أليست سيدة مميزة فعلًا؟ / أليست بلقيس رضي الله عنها امرأةً أمَّة في النساء؟!

رضي الله عنها، وعن أمهاتي أمهات المؤمنين، وعن أمي والصالحات كل حين...

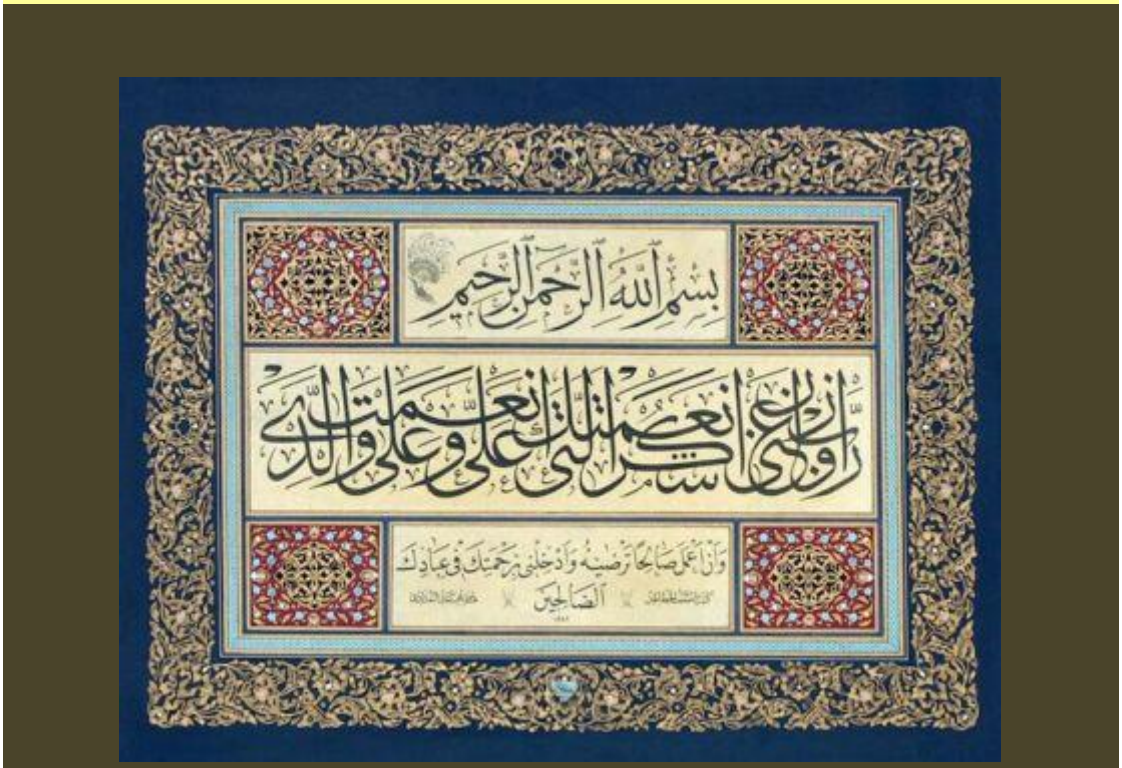

## وقالت: الله لا يرحمك يا بابا

قريبًا من نصف الليل جاءني صوتها باكيًا/ مجهدًا/ محبطًا/ منكسرًا، فسألتها: ما لك يا فلانة.. فغالبت دموعها وهي تقول: نفسي.. نفسي يا شيخ أشيل عيل على إيدي.. نفسي أسمع كلمة يا ماما.. ولم تستطع المواصلة..

هي فتاة أعرفها، تتمتع بجمال الجمال.. وشباب الشباب.. في قمة التخصص العلمي الراقي.. لكن عقلية (بابا) المتحجرة أدمنت المصادرة والظلم.. والنفخة الكدابة التي تريد صهرًا (ع الفرازة) بمواصفات سينمائية.. فلا بد أن يكون: الحسيب النسيب، الغني القوي، الوسيم العظيم، الكبير الخطير.. وأقل من كدا مش عايزين.. (هو مش عارف إحنا مين؟!).

وتبقى المسكينة – التي تحلم بالزوج والولد – في قهرها ومحبسها، وإحباطها، ومشاعرها الكسيرة التي تغطيها بابتسامة بلهاء، ومساحيق مبالغ فيها، وتصنّعٍ للسعادة بين زميلاتها اللواتي يشبهنها.. أو اللواتي أفلتن من القبضة، وأنعم الله عليهنَّ برجل يكرمهنَّ ويسترهنَّ ويعفهنَّ..

آباء يمسكون بناتهم حتى يجاوزن الأربعين، لتفقد الواحدة منهنَّ أنوثتها وآدميتها ومشاعرها، ولتنتهي صلاحيتها وعمرها الافتراضي كأنثى.. فلا تعود قابلة لحمل، ولا ولادة، ولا يحزنون.

آباء (يقتني) أحدهم ثلاثًا وأربعًا وخمسًا وعشرًا – أحيانًا – من البنات في بيته يعضلهنَّ (أن ينكحن أزواجهنَّ) في حين يفتش الأب الوقور عن زوجات شوابّ؛ بنية استعادة الشباب والفحولة (والأعمال بالنيات) فيعيش هو حياته، وتعيش بناته قهرهنَّ وإحباطهنَّ وانكسارهنَّ وأنوثتهنَّ التي تشتهي وتتمنى، ولا تجد من ابن الحلال ما يصدق ذلك ولا ما يكذبه.

وفي المقابل تجد البنات يدرن بين خيارات أحلاها (زي الزفت والقطران):

فهي إما ساخطة على أبيها.. تتمنى بينها وبين نفسها أن يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، لعلها أن تجد ثغرة تنفذ منها إلى دنيا الأسرة وعالم الأمومة، وربما جهرت بهذا السخط، فدعت عليه، وطلبت من الكريم تعالى ألا يرحمه كما لم يرحمها.. وأن يحرمه كما حرمها.. وأن يشدد عليه كما شدد عليها.

وهي لا تدعو على أبيها فقط؛ بل على الذهنية الاجتماعية المتعصبة، التي يحميها الأب والأخ، والخال والعم (وابن بنت أخو خالة حماة أخوها)! الذين يعتبرون أنفسهم من طينة غير طينة البشر، وأنهم لا يزوجون بناتهم إلا من العينة نفسها، على حين يجمع أحدهم زوجات (ملتي ناشيونال) فعنده الشامية والمغربية والقبيلية والأوربية.. وطبعًا مع زعم أن الشرع ما يمنع!

وربما هي عفيفة تكبت مشاعرها؛ لتتحول إلى إنسان يأكل ذاته، وتلتهمه مشاعره الكبيتة الحبيسة الكظيمة، ليمتلئ بالعقد والسخط والتبرم بكل شيء، ثم ليصير كائنًا سلبيًا، قليل الإنتاج، ضعيف العطاء (ويضرب الدنيا صرمة) كما يقولون، لأن الأمور عندها سواء؛ فالسبل مسدودة، والفرص معدومة، والسنوات المتبقية من العمر معدودة.

وسرعان ما تغزو التجاعيد الوجه.. ويضرب الشيب الشعر.. ويأكل الجسم القهر.. وهي في ثلاثينيات عمرها.. وكل ذنبها أن أباها أو أخاها أو وليها (شايف نفسه)!

كل ذنبها – كذلك – أنها عفيفة ورعة لا تستطيع أن تقاوم.. ولا تصرخ.. ولا تبين عن ألمها.. ولا تتصرف كأولئك اللواتي تخذن القرار.. وتزوجن رغم أنوف بارمي الشنبات والديوك الآباء (ويروح يضرب دماغه في ستين حيطة..).

أو هي فتاة أكلها جسدها.. وضعف الرقيب عليها، أو غفل عنها – أو تغافل – فانطلقت لتستبيح وتُسْتَبَاح، وتَنْتَهِكْ وتُنْتَهَكْ، وتُفسِد وتقبّح..

لقد تحولت القضية إلى ظاهرة مرعبة تجتاح الوطن العربي كله.. مصر.. والخليج.. وبلاد المغرب.. والشام.. وغيرها.. وبعد أن كانت الظاهرة تكاد تكون صفرًا.. صارت مرضًا مستوطنًا مستعصيًا.. لتتحقق مقولة النبي الكريم صلي الله عليه وسلم:

(إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض).

وأي فساد أعرض من أن يكون في بلد واحد ك (مصر) 9 ملايين تجاوزوا الخامسة والثلاثين – بشهادة الجهاز المركزي للتقنية والإحصاء – أي كارثة هذه؟!

وهل هناك مرض يصيب واحدًا من كل ثمانية في بلد واحد؟

أليس كارثة أكبر من المخدرات والإيدز والسرطان وفيروس سي مجتمعة؟

وليس الحال في الخليج بأفضل منه في مصر.. ففي السعودية تقول الدراسات المعلنة قبل أسبوع من اليوم (ميدل إيست أون لاين 21/5/ 2002م) إن القطار قد فات مليونًا وخمسمائة وثلاثين ألف فتاة تقريبًا.. وإن حالات العنوسة في قطر والكويت والإمارات والبحرين تتراوح بين 15 و 50 % من مجموع الفتيات – وأشك في الرقم، فالنسبة أعلى كثيرًا – ناهيكم عن نسب الطلاق البشعة التي تصل إلى خمسين في المائة من مجموع العقود في بعض المناطق.

إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض

صدقت يا سيدي يا رسول الله

أليس من الفساد لعريض أن نقتل عفائفنا كمدًا وانكسارًا؟!

أليس من الفساد العريض أن ندفع بناتنا إلى سلوك طرق لا يرضينها.. ولا نرضاها.. ولا يرضاها الله رب العالمين؟!

أليس من الفساد العريض أن نفتح الأبواب لأبناء الحرام واللقطاء والأمراض الناتجة من الإفراط في تعاطي حبوب منع الحمل؟!

أليس من الفساد العريض.. أن نرد سنة سيدي وحبيبي رسول الله صلي الله عليه وسلم بالنفخة الكدابة و(العنتريات التي ما قتلت ذبابة).. والاستعلاء الأجوف الذي يدل على عقل منقوص.. ووعي مغموص.. ومروءة مسلوبة.. ولؤم أكيد؟!

يا قومنا أفيقوا؛ فإنكم معروضون غدا على من لا تخفى عليه خافية.

## حبيبتي.. زوجتي

| | |
|---|---|
| براك الله لي سكنًا | ورَوْحًا ينعش البدنا |
| وأهدى من كرامته | حنانًا دافقًا.. وسَنا |
| وأودع بعضَ رحمتِهِ | بقلبكِ كي أفوزَ أنا |
| وسوّاكِ بنصف الدين | كي تدنو الجِنانُ جَنَى |
| أيا نورًا بأيامي | لقد طوّقتِني مِنَنا |
| فخيرُ متاعِ دنيانا | غدا بيديكِ مرتَهنا |
| لأنتِ الواحةُ الغناءُ | تؤوي المُجهَدَ الوهِنا |
| وطلعةُ وجهكِ البسام | تمحو الهمَّ والحزَنا |
| وصبرُكِ إن ألمَ الخطبُ | أو صبّ القضا مِحَنا |
| وتذكيري بعهد اللهِ | يعطي عزمتي شُحَنا |
| وتثبيتي على الطاعات | إن فَتَرتْ عزيمتُنا |
| وشدُّ العزمِ في اللأواء | نحوَ الخيرِ يدفعنا |
| أحبك يشهد المولى | وإنَّ الحبِّ ينفعنا |
| فحسبي منك مرحمةٌ | تزيل متاعبًا وضنى |
| جزاكِ الله خالقُنا | نعيمًا دائمًا عَدَنا |
| لعلَّ الله يكرمنا | وفي الفردوس يجمعنا |

## رجالٌ طراطير

كثُـرَ مـا أتأمـل العاميـة المصـرية، حيـث للشـعب المصـري كنايـات شـديدة الاختصـار، غزيـرة المعـاني، عميقـة السـخرية، يمكنهـا أن تحمـل في أطوائهـا من الـدلالات والإيمـاءات، مـا يُضـحك، ويوجـع، ويعـرّي، ويصـم، ويـؤدي رسائل بليغة موحية!

ومن كناياتهم العامية: وصفهم الرجل الذي يستعرض فحولته بأنه (ديك)..

والرجل الهايف الذي لا وزن له في بيته بأنه (طرطور)، من السهل أن تخلعة امرأته، أو تلبسه، أو تعلقه على الشماعة، أو تلقيه في الزّبالة!

ويصـفون الرجـل البليـد الخمـول بأنـه (مقطـف) أو (شِـوال).. يرمـى فـي مكـان فـلا يتحرك!

والفشّار المبالغ الكذوب بأنه (ميّاس)..

كما يصفون الرجل الديوث بأنه (راجل بِقرون)!

وتعنينـي هنـا حالتـان همـا: حالـة الرجـل الـديك، الـذي يخـرج منفوشًـا ويـدخل منفوشًا، والذي يعلو صوته ليوقظ الناس من حوله، ويناقر ويهيج وينفعل، ليؤكد قولًا وفعـلًا أن الست امرأتـه عنـده (أي حاجـة) فهـو يؤذيهـا، ويلغيهـا، ويهضـمها حقوقهـا، ويحتجن حظوظها!

وحالة الرجل الطرطور الذي لا يملأ عين امرأته، ولا تحتويها شخصيته، فتركب كتفيه، وتلغي وجوده، ويكون تأثيره معها تأثيرًا شكليّا، لأنها تديّكت، وانتفخت عضلات شخصيتها؛ على حين تضاءلت شخصيته هو، أو اختفت!

ولا يخفى وجود هاتين التركيبتين على ذي عينين.. لكن: ***هل يمكن لهما – على تناقضهما وازدواجيتهما – أن تجتمعا في شخص واحد؟***

أظن هذا موجودًا بكثرة، خصوصًا في أوساط المتزوجين من نساء عاملات، من اللواتي لهن دخول ومرتبات.. فلطالما استمعت لشكاوي تقطر وجعًا، ورأيت جراحًا تمشي على الأرض في إهاب نساء مغلوبات على أمرهن، أو رجال طراطير، يستحقون ما يقع لهم.

= = وأسأل هنا: هل يمكن أن يستعرض رجلٌ فحولته، ويزعم القوامة، والرجولة على امرأته، وهو طرطور لا يخدمها بشيء، ولا يقدّم لها ما ينبغي أن يقدمه شخص طبيعي محترم لزوجته؟

= = هل يمكن أن يكون فحلًا – مثلًا – الرجل الذي يطالب امرأته بأن تعمل هي ليأخذ راتبها كله، وبأن (تدبّر رأسها) لتذهب بنفسها – وعلى مسؤوليتها – إلى عملها؛ لأن سيادته لا يحب توصيل أحد، أو مشغول مع شلة الأنس؟!

= = هل يمكن أن يكون فحلًا، هذا الرجل الذي يطالب امرأته بأن تهديه بين الحين والحين من الطُّرف والنفائس ما يستحقه – فقط – الرجلُ الديك، كما تفعل كل بنات العائلات مع أزواجهن من الديكة..

= = وهل يمكن أن يكون فحلًا ذلك الرجل الذي يطالب امرأته بأن تعينه بمالها – طوعًا أو كرهًا – عندما يطلب منها، سواء من مدخراتها، أم من الاستدانة، وبذل ماء الوجه، أم بغير ذلك مما يطيب أو يخبث، ليرسلها لأهله هو، أو ينفقه على كيفه هو؟! وبأن ترعى الصغار وتقوم على شؤونهم، إنفاقًا، وتعليمًا، وترفيهًا، وتكون لهم بابا وماما وطنط أمينة؟!

وهو – مع ذلك – دائم التشريب، كثير اللوم، سليط اللسان، طويل اليد، سريع العدوان، يعنّفها إذا هي فعلت، ويؤنبها إذا هي لم تفعل؟!

طبعًا لأنه ديك، والديك لا بد له من أن (يقاقي) ويكثر الصياح..

معادلة صعبة لا أدرى كيف تكون.. لكنها موجودة ...

ديك وطرطور، في شخص رجل واحد.. وهذا – فيما يبدو لي – حصاد دعوة إخراج المرأة من فطرتها وبيتها، وتغيير جينات الفحولة ومعناها في نفوس الرجال، فتقل الغيرة، ويتبدل مفهوم القوامة، وتتغير النظرة إلى معاني الذكورة والأنوثة، لنجد في مجتمعات المسلمين انتشارًا وبائيًا للرجال الطراطير، والمقاطف والميّاسين، وذوي القرون، بعد أن ينقرض ذوو الغيرة، والرجولة من الديوك الحقيقيين، في حين نجد (السيدات) المناضلات، ذوات العضلات، من النساء القوّامات على الرجال، أو (المعذورات) المضطرات للعيش مع الطراطير، الذين صاروا يشكلون نسبة بارزة من العينة الرجالية الرديئة المتوافرة بالأسواق.. تحت مبررات المساواة، وإثبات الذات، واستغلال الطاقات، وأعباء الحياة، وصروف الزمان التي تلجئ بعض الحرائر إلى الرضا بالرجال الأنطاع..

أم أنا مخطئ؟!

## حبيبي.. زوجي

روحَ الفؤاد.. لأنت غيثٌ ماطرٌ

يروي الفؤاد المستهامَ.. الصادي

زوجي: إليك تحيةً ممهورةً

بالشوق.. بالحب النبيل تنادي

مشفوعةً مني بأصدق لهفةٍ

حرّى.. يسطّرها دمي... ومدادي

هذا يراعي اليومَ

يرشحُ ذوبهُ

في أسطرٍ ممزوجةٍ.. بودادي

هل بدعةٌ نظمي لآيات الهوى

وهتافُ روحي باشتياقي البادي!؟

يذوي كياني إن يكف عن الغِنا

ويظل صوتي دائم الإنشادِ

دومًا أترجم قصةً لمحبة

لم تُحكَ في عفراءَ.. أو لسعادِ

صيغت على قدرٍ من ربنا

فغدت

غرّاء... تهدي دربَنَا كالحادي

مُلئ الفؤادُ محبةً.. ومودّةً

أو لستَ أنتَ مكثِّرًا حسادي؟

بك أستعين على الزمان.. وصرْفِهِ

بعد الإلهِ.. ألست أنت عمادي؟!

بعد الإله وحبِّه.. من ذا ترى

للروح.. قد كان السراجَ.. الهادي

أخشى عليك نسائمًا رقراقةً
وأُديم فيك تفكرّي
وسهادي
شوقي إليك وأنت تدخل عشّنا
شوقٌ يدومُ
على مدى الآماد
لا تحسبنْ أني أقول تجمُّلًا
أو أنني أفتاتُ في إنشادي
قلبي الذي يملي السطور بنبضهِ
والروح قد سعدت
بذا الترداد
للشوق..
والحبّ الذي فاضت به
صارت تُبين عن الهوى... الوقّادِ
ترنو إليكَ جوانحي.. مشتاقةً
والقلب يهتفُ صادقًا
وينادي:
كن لي أبًا.. ومعلمًا.. ومقومًا
كن لي الهوى.. يا قبلتي.. ومرادي
وترفقَنْ حِبي.. فقلبي عاشقٌ
حتفي إذا حكمَ القضا ببعادِ
قد قدّرَ الرحمنُ أن أَهْنا بكم
فالله خيرٌ واهبًا.. والهادي
فادعُ الرحيمَ بأن يديمَ هناءَنا
يا جنتي.. يا فارسي.. ووادي

## زي أخوها! متربيين مع بعض!

كما تتشابه أوراق الشجرة الواحدة تتشابه عوائد بني آدم، وأخطاؤهم، واتجاهات تفكيرهم، كما تتشابه النتائج المترتبة على هذه العوائد؛ حلوها ومرها.

*وتعال معي قارئي العزيز نتأمل:*

يتساهل المجتمع والآباء – في كثير من الأحيان – في لقاء رجل بامرأة أجنبية.. لا يجوز له الخلوة بها، ولا التساهل معها، ولا تجاوز الحدود..

ويضفون على ذلك تبريرات مختلفة، نتيجتها واحدة دائمًا، هي استباحة ما لا يباح، واستجازة ما لا يرضاه الله تعالى ولا الصالحون، وما لا يقبله أهل العفاف والمروءة.. وما يؤدي إلى الفتنة في الأرض والفساد العريض!

= = تتحرر البنت المنتقبة أحيانًا من نقابها أمام خادمها وسائقها، أو البائع في السوق، فإذا رأت طيف لحية، أو شبح شخص معروف لها، سارعت وأسدلت نقابها على وجهها، حياءً أو ادعاء!

وحين تسألها: لماذا تكشفين لهذا وتتسترين من هذا، تقول لك في ثقة:

دا عادي.. مب ريَّال/ مش راجل!

ثم لنعلم بعد أنه يخلو بها، ويدخل غرفتها الخاصة، وأنها – في البيت – تتخفف كثيرًا أمامه.. بحكم كون الهندي (مب ريّال)!

رغم ما نسمع عن أفعال هؤلاء (المب رياييل/ اللي مش رجالة) وليس آخرها هروب البنتين مع هنديين واعتصامهما بمطار القاهرة قبل مدة..

ورغم المصائب والطوام التي تترتب على زعم أنه ليس رجلًا كالرجال!

= = في بعض المجتمعات البدوية يستبيح ابن العم أو العمة.. وابن الخال أو الخالة.. الدخول على المخدرات.. والستيرات، و(يحب خشومهن/ يبوسهم،

ويسولف، ويتعلل/ يتكلم معها ما طاب لهما الكلام حتى لو كانا خاليين) ويتساهل معهن.. فإذا سألت في ذلك قيل لك؛ بمنتهى الثقة:

وإيه يعني!؟ بنت ابن عمه.. ورابيين مع بعض.. زي اخوها!

= = في مجتمعات أخرى يلوح شاب بكلمة توهم الخِطبة – مجرد التلويح – فتنفتح الأبواب، وتسقط الحواجز.. وتذوب الممنوعات، وكأنما أشهد على نكاحها سيدي أبا هريرة رضي الله عنه وأرضاه: يخرج بالبنت، ويخلو، ويسافر، ويرى، ويشم، ويلمس، ويضم ويستكثر، ويستعذب، فإذا أبديت امتعاضًا – أو حتى تعجبًا – قيل لك بدهشة:

أمرك غريب يا أخي.. فيها إيه؟ مش هو خطيبها؟!

= = في مواقع العمل المختلط يجلس الزملاء والزميلات، يستعرض كل منهم (خفة دمه) فيطلق النكات، ويسترسل في (القفشات) ويتمادى في التلميحات، ثم التصريحات والتحرشات، فإذا أبديت ملاحظة قيل لك باستغراب:

زمايل.. وبيهرجوا مع بعض.. فيها إيه؟!

زد على ذلك ما يحصل بين زملاء الجامعات المختلطة والمدارس الثانوية.. والتجمعات التي تخف فيها الضوابط الشرعية.. حيث – دائما – تجد التبريرات النمطية الجاهزة:

ما تحبكوهاش/ لا تتشددوا/ الدين يسر/ الزمن تغير/ ليه كل شيء عندكم بسوء الظن؟/ الشباب صاروا واعيين/ دول زي الاخوات!/ دول طول عمرهم متربيين مع بعض... إلخ!

ولا أدري: هل يزيغ البصر لهذه الدرجة؟

ألا يرون النتائج والمآلات التي صرنا إليها؟

ألا يلاحظون المصائب التي (ترفل) في نعيمها الأمة؟

ألا يرون فتنة الحرائر، وغياب الحياء، وتعسر الحلال، ويسر أبواب الفساد؟

ألا يشعرون بالارتفاع الرهيب في معدلات الجرائم الخلقية؟

ألم يسمعوا عن (بزنس الإجهاض) وأطباء القتل التجاري؟

ألم يسمعوا عن (بزنس ترقيع البكارة) وأطباء إحياء الشرف الرفيع!؟

ألا يحسون بالمخترعات (التفلّتية) لأنواع من الزيجات الغريبة العجيبة؟

ألم يسمعوا عن العرفي، والمسيار، والويك إند، والعقد الجنسي، وزواج الربع ساعة، والمصياف، ووهبتك شرفي، والوشم، والكاسيت، والطابع، والبلاءات السود التي تحدث في العالم الإسلامي؟

أولا يرون أنهم يَفتنون ويفتنون؟

ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون؟

إنهم يملكون نوعًا من القدرة الغريبة على خداع أنفسهم ومغالطتها.. أنهم – هكذا – على صواب، وعلى حق.. على دين..

يقنعون أنفسهم أنهم يفهمون الإسلام، ويطبقون السنة! وأن أحدهم يطبق الشرع (على سنة الله ورسوله، ومذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه!)

- الهندي يا امرأة (ريّال وستين رَيال) وحرامٌ عليك وعلى أهلك أن تتخففي أمامه.. أو يدخل غرفتك وأنت متبذلة، أو يخلو بك، أو يرى منك..

ذلك حرام حرام حرام.. على الهندي والعربي والطلياني والعفريت الأزرق؛ اللهم إلا على رجل محرم لك على التأبيد!

- يا متعلمة يا مستنيرة: ليس في الشريعة شيء اسمه (وهبتك نفسي) ولا ورقة كذوب تشترينها من (كشُك سجاير) وتعبئينها أنت والمحروس وتتوهمان أنكما صرتما زوجًا وزوجة!

هذا عار.. حرام

- يا بنات.. يا أمهات.. يا آباء.. يا مجتمعات: زوجوهم وزوجوهن بيسر.. وإلا فلن أفاجأ بمزيد من أشكال الزواج.. ومزيد من الخروقات.. ومزيد من أبناء السفاح.. ثم ترمي مجتمعاتنا ورقة التوت الأخيرة؛ لتصير مثل أوربا..

ولا زواج.. ولا عرض.. ولا خوف من الله تعالى.. ولا يحزنون.

- هل تريدون لأبنائنا وبناتنا أن ينتهوا هذه النهاية..

- يا آباء.. يا أمهات: ابن عمها مش زي أخوها.. ليس أخاها
- يا أولياء.. الخطيب ليس زوجًا.. ولا يحل له أن يرى ولا أن يلمس ولا أن يستبيح
- يا شباب ويا شواب.. لا شيء اسمه وهبتك نفسي.. ولا نكاح بغير ولي وشاهدي عدل.
- يا بنت: احترمي نفسك وصوني كرامتك.. فسيقضي نهمته منك ثم تجدين نفسك (باي باي) بلا بيت.. ولا زوج.. ولا شرف، لتستجدي بعد ذلك نظرة، وتسرقي لمسة، ولتلهثي بعد ذلك وراء ظل رجل.. فلا تجدي إلا الحسرة!
- يا زملاء الاختلاط.. كانت هند ابنة الخس من سيدات العرب.. وحصل أن زنت مع عبدٍ لها! فلما لِيمَت على ذلك: لماذا زنيت وأنت سيدة قومك؟

قالت: قرب الوساد وطول السواد.

تعني الاختلاط الطويل.. والاعتياد.. وسقوط الكلفة؛ حتى مع العبد!

وصدقوني.. الاختلاط.. والممازحة.. وإسقاط الحشمة من أوسع دواعي الزنا الهزار.. والتساهل.. والبحبحة..

التظارف.. والإيماءات.. والنكات المكشوفة نتائجها دائمًا مكشوفة

فهل أنتم منتهون؟

إليكم هذه النكتة الرائعة المروعة:

اتصلت بي سائلة: هل يجوز لي السلام على ابن عمي؟ ففهمت أنها تقصد المصافحة، فقلت: لا.. فإنه الحمو، ثم شككت فيما فهمت، فاتصلت بها أنا، وقلت: أتقصدين أن تلقي عليه السلام؟ يعني تقولين له: السلام عليكم؟

قالت لي لا: قصدت أن يحييني بالخد؟ قلت: ازاي يعني؟

قالت: يضع خده على خدي!

وعجزت من الدهشة عن التعليق!

## من: شِي يا حمارة.. إلى: أيوه تتجوز أربعة!

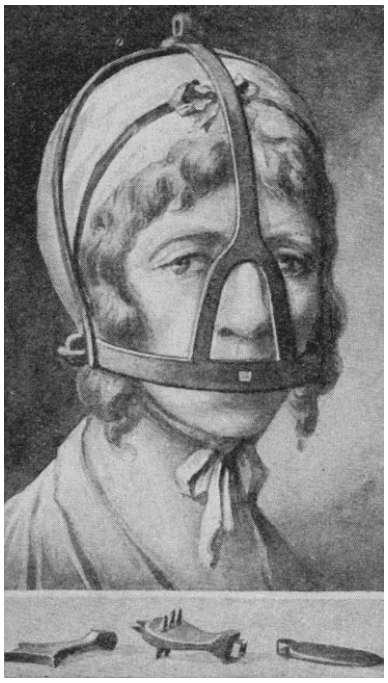

بديهيّ أن الحية لا تلد إلا حية بنت حنش..

وأن الخنزيرة لا تنتج إلا خنزيرًا ابن خنزير..

والتطرف لا يسفر إلا عن تطرف مضاد، وإرهاب، وزيغ، وانحراف.

فالشخص الجائع الذي يشرف على الهلاك لو لم يجد غير جيفة لأكل منها (بالهنا والشفا) وكأنها أطيب طعام على ظهر الأرض.. والمشرف على الهلاك عطشًا لو وجد ماءً آسنًا لعبّ منه عبًّا كأنما يشرب من ماء السماء. والأعمى لا يشتهي عينين اثنتين فقط؛ بل (قُفّة) عيون كما يقول المثل العامي المصري.

وإذا أردنا أن نفسّر سرّ التطرف المعاصر في قضية الحريات النسائية، ودعاوى بعض المنظّرين و"المتحررين" لإلغاء مؤسسة الزواج، وهدم نظام الأسرة، وفتح باب الإنجاب الحر، وتحويل كل نساء الأرض بغايا – بالمعنى الحرفي للكلمة – ورغبة بعضهم الضمنية أن يَصدر قانون واسع النطاق يقضي على من ضبطت متلبسة (بجريمة الزواج) بأن يخربوا بيتها، أو يشنقوها في ميدان عام!

لو أردنا تفسير كل هذا التطرف في الإباحة والقباحة لأيقنّا أنه لم يظهر إلا نتيجة تطرف أشدّ في التزمت والتضييق على المرأة المسكينة، التي اعتبرت – زمان – في أسطورة (باندورا) الوثنية مصدر الشرور والآلام في الدنيا كلها..

والتي اعتبرت في التوراة المحرفة سبب خروجنا من الجنة بنعيمها، إلى الدنيا المليئة بحمامات الدماء، والآلام، والتطهير العرقي، والصرب، والجفاف، والأفلام الخليعة، وقهر الرجال.

واعتبرت في النصرانية القديمة (موديل سنة 400 وأنت طالع) شقيقة الشيطان وسفيرته إلى البشرية، فتجنبها رجال الكنيسة، وعدّوا من كمال التدين والتقرب إلى الرب يسوع أن يعتزلوها ويتنزهوا عن مسّها..

كذلك اعتبرتها الكنيسة – تقليدًا للقوانين الرومانية الوثنية – ملكًا لزوجها؛ لذلك فإنها كانت إذا تزوجت، تحمل اسم مالكها الجديد، وتدعى به، ولم لا وهو صاحب الحق في إمساكها أو بيعها أو ضربها بالصرمة القديمة؟!

وقد بقيت ذيول هذا التقليد إلى أيامنا هذه؛ إذ لا يزال الأزواج (المتحضرون) ينسبون زوجاتهم لأنفسهم، فلا تزال السنيورة هيلاري تحمل – رسميًّا – اسم زوجها كلينتون، ولا تزال الست لورا تحمل اسم زوجها البوش، وعليزة النيزة كونِّيزة كانت تحمل اسم زوجها بيجين الإرهابي، الحاصل على جائزة نوبل في السلام (!) ولا تزال الليدي مرجريت (الحديدية) تحمل اسم زوجها أنكل تاتشر، رغم أنها (أجمد) منه وأشهر.

وكثيرًا ما كانوا يهينونها إهانات تحير الحليم، وتُغثي النفوس، وتجعلنا نضرب الأكف عجبًا من بنات دليلة، وذرية سالومي، وأولاد خالة ربة الصون والعفاف مادونا، حين يتطاولون على الإسلام ويتهمونه بقمع المرأة، وإذلالها، وسرقة إنسانيتها!

وأستميحك العذر قارئي العزيز أن أروي لك هذه الواقعة المضحكة المبكية، لعلها تخفف من ضيقك، إن لم تفوّر دمك كما فعلت معي، وعليّ وعلى قرائي الطيبين:

والحكاية يا سيدي الفاضل أن الناس في أوروبا لم يكونوا يفرقون كثيرًا بين المرأة والجحشة الجربانة؛ بل ربما كانت الجحشة أرجى بالرضا؛ لأنها جحشة لا امرأة!

لذا فقد كانوا يقودون المرأة أحيانًا بلجام ذي سلسلة طويلة متصلة برقبة المرأة، ولسان حالهم يقول: شي يا حمارة..

هل رفعتم حواجبكم دهشة وتكذيبًا؟!

معذورون.. فيجوز أنكم لم تسمعوا أبدًا باللجام النسائي أو لجام الثرثارات Scold's Bridle المصنوع من الحديد، الذي كان يوضع فوق رؤوس النساء، ويغطي الرأس بكاملها إلى الكتفين، وتساق إحداهن في الطريق باللجام كما تساق الجحشة، عقوبة لها، ونكالًا على طول لسانها.

لقد كانت تلك الأداة الشريرة تستخدم لمعاقبة النساء اللاتي يغتبن الناس، أو يتطاولن على الزوج، أو على الحاكم، بل أحيانًا لمجرد الكلام العادي، إذا لم يعجب زوجها أو غير زوجها.

ولمزيد من التأثير والإيجاع كانوا يجعلون في مقدمة هذا اللجام القفص شريحة حديدية أشبه ب (لبّيسة الجزمة) وأحيانًا ما تكون هذه الشريحة حادة شائكة، بحيث توضع على فم الضحية، التي إذا حاولت أن تحرك لسانها بأية طريقة فإنها تصاب إصابات بالغة.

وكانت المرأة المسكينة تجوب الشوارع، وعلى رأسها ذلك اللجام، يجرها أحد المسؤولين من السلسلة الحديدية، وكأنما هي كلبة صيد أو قطة سيامية.. وبذلك تصبح مادة جيدة لتهكم وسخرية المارة، ونكتهم واستظرافهم.

ولا يزال لجام من هذه اللجم محفوظ في إيوان كنيسة **Walton Thames Parish** منذ عام **1632**، وقد كتب عليه: [يهدي شستر هذا اللجام إلى كنيسة والتون؛ لكفّ ألسنة النساء كثيرات الثرثرة].

وكان شستر أفندي هذا قد فقد صفقة كبيرة (عزبة يرثها عن أحد أقاربه) لأن إحدى قريباته كانت مسحوبة من لسانها، ولم تستطع أن تحتفظ بسرٍّ معين، فلما باحت به طارت الصفقة من الأستاذ، فانتقم من النساء جميعًا، وأراد أن يلجم ألسنتهن، ويهين آدميتهن!

ويذكرون أن امرأة أخرى طويلة اللسان اسمها إيزابيل ليندسي وقفت ذات يوم في أحد القداديس في كنيسة، وفاجأت جمهور المصلين بأن رفعت صوتها، وقالت إن رئيس الأساقفة الذي يقف بينهم واعظًا كان يتسلل إليها كل ليلة ليعظها في الفراش، وإنه خبّاص وابن هرمة، ويريد أن يتهرب من مسؤولياته المثمرة!

ولأن رئيس الأساقفة (عفي وقبضاي) فقد أمسكوا بالمرأة، وراسهم وألف جزمة أن يلبسوها اللجام الحديدي، لتكف عن قول الحق، ولا تعيب في ذات الرجل المحترم الذي يبارك بشدة استخدام اللجام للحمير والكلاب.. والنساء الثرثارات.

ولا أعتقد قارئي العزيز أنك تخالفني الرأي في أن هذا التطرف في إذلال المرأة وإهانتها، ومسح البلاط بكرامتها كان من الطبيعي أن يؤدي إلى تطرف مضاد، جعل المرأة تبذل كل ما في وسعها للهروب من أن تكون حمارة تلجم بلجام، وتستعيد آدميتها، ثم لتنتقم من الرجل الذي أذلها عبر أربعة آلاف سنة، في الحضارة الرومانية والإغريقية، ثم في الحضارة اليهودية، ثم في النصرانية.. فأخذت تتصرف كالشخص المهبول، وتبالغ في التمرد والرغبة في تحطيم كل القيود.. فظهر بين الجنس اللطيف جدًّا – وفي وقت مبكر – النساء الأمازونيات المحاربات اللواتي يقطعن أثداءهن، ويربين المجانص والعضلات، ليكنّ مقاتلات شرسات؛ تمردًا على القهر الرجالي..

وبالمكر النسائي أرادت المرأة أن تفسد الرجل حتى داخل المعبد، فظهر ما دعي البغاء المقدس، وكاهنات الرب اللواتي وهبن (عرضهن) خدمة للإله!

ثم ظهرت نسوة يطالبن بأن تتزوج المرأة أربعة رجال – وما حدّش أحسن من حد – على أن يسمى النّسل باسمها؛ لأنها هي التي تتعب وتكد فيما قبل الحمل وبعده!

وظهرت نسوة يطالبن العلماء بالبحث الجاد عن وسيلة تسهّل أن يحبل الرجل بدلًا من المرأة، ليجلس "بسلامته" في البيت، ويطالب الحكومة بإجازة وضع، وعلاوة إنجاب، ويتوحّم عند اللزوم على (خرطة جبنة حادقة، أو صحن مشّ) كما فعل العِجل شوارزنيجر في فيلم Junior!

وظهرت نساء رياضيات بعضلات، فَشَرْ أندر تيكر، وترمينيتور نفسه، ويستعرضن عضلاتهن في المجلات الرياضيات وحلبات المصارعة الحرة!

إننا مقبلون على عصر قلب كل النسب، ونسف ثوابت الفطر، والتألّه الأحمق الذي يعجّل (بِفرَّة) مستعجلة تلتهم الأرض ومن عليها؛ لتخرجهم من نار الشذوذ والإباحية إلى نيران وقودها الحجارة وأجساد النساء المتبجحات الجريئات على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.. لم تردعنهن تربية، ولا عقل، ولا رجل قوّام عليهن، ولا يؤمنّ بالله ولا باليوم الآخر.

هل أتطرف وأقول إن أيام اللجام كانت أرحم؟!

## صاحبة العصمة الأسطى لهلوبة العالمة

كثيـرًا مـا دفعنـي الفضـول لأتجـول فـي المجـلات والجرائـد القديمـة لأعـرف أخبـار الماضين من قومي في القرن الفائت والنصف الأول مـن هـذا القـرن البـائس، الـذي شـهد سـقوط دولـة الخلافـة، وانقسـامها إلـى نحـو اثنتين وخمسـين دولـة، وارتفـاع نجـم اليهـود، وسـيطرة التوجهـات والأفكـار غيـر المنسـجمة مع تاريخ الأمة وعقيدتها ومصالحها في أكثر الأحايين.

وكـان يلفـت نظـري – مـرات ومـرات – إعلانـات عـن حفلـة خيريـة برعايـة صـاحبة العصـمة فلانة، أو زيارة تشريفية لربة الصون والعفاف صاحبة العصمة الملكية علاّنة، فكنت أظن أن لقب صاحبة العصمة لقب تشريفي ملوكي، مثل لقب أميرة، أو خانوم (هانم) أو الست، أو للا، أو الشيخة، أو ما شابه!

لكنني اكتشفت فيما بعد أن اللقب ذو معنى مختلف عما ظننت، فلا هو لقب ملوكي، ولا مكتسبا لكون فخامتها معصومة من الزلل كالملائكة، لكن الحكاية أنها كانت "بنت بارم ديله" من أولئكِ النسوة اللاتي تكافئ إحداهنَّ – في نظر نفسها – مائة رجل، لذا فإنها تكون عند الزواج هي اليد العليا، تملك حق الطلاق، فإن شاءت أمسكت "المحروس" جوزها، وإن شاءت "فقعته بمبة" وسرّحته سراحا غير جميل، فهي بنت أكابر، لا ينبغي أن يتحكم فيها رجل، ولا يوجهها بعل، ولو كان سيد الناس في زمانه!

وكانـت صـاحبات العصـمة فـي زمـانهنّ جريئـات علـى التقاليـد المحافظـة، بعـد احتكاكهنّ بالغربيات، وسفرهنّ إلى بلاد الفرنجة، واطلاعهنّ على حضارة "العم سامّ" فعادت كثيرات منهنّ – منذ أوائل هذا القرن – بأفكار ثورية نسائية، وفتحن في قصورهنَّ صالونات أدبية، وملتقيات اجتماعية وخيرية، يستقبلن فيها الرجال من علية

القوم، ويقمن حفلات اجتماعية راقصة للنخبة الأرستقراطية من خواجات الوادي، وشبّانه ذوي الطموح والجري وراء الوجاهة و"الأبهة".

ثم عدت بالذاكرة لما قبل الإسلام لأجد من الأعرابيات من كانت تشترط أن تكون العصمة بيدها، خصوصا إذا كانت "شايفة نفسها" لكونها من سيدات قومها ورؤوسهم، أو لأن أباها كان يملك ثلاث خيمات، وعشر عنزات، وشاربا طويلًا، وقربة لبن.

فها هي سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية – وكانت من فواضل عصرها، ومن ذوات الشرف والسؤدد – لم تكن تنكح الرجال حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، حتى إذا كرهت من رجل شيئا فارقته؛ دون قيد ولا شرط.

وهاهي ذي ماوية بنت عفزر – وكانت ملكة من ملكات العرب في الجاهلية – تتزوج من أرادت وتطلق إن شاءت، وكانت علامة أن يحمل بعلها ثيابه ويرحل إلى خيمة السيد والده – مطلّقا كسير الجناح – أن تحول باب خبائها، كما فعلت مع زوجها الرجل الكريم حاتم الطائي قبل الإسلام مباشرة، ولم يكن حاتم يهتم كثيرًا بحكاية باب الخيمة، بقدر ما كان يرسل عبده "ناضورجيًّا" يفتش له – سخاءً وجود نفس – عن أبناء السبيل وسراة الليل في البرد والظلام؛ ليطعمهم، ويدفئهم:

والريح يا عبد ريح صرّإن جلبت ضيفا فأنت حر

وهاهي تي عائشة بنت يحيى بن يعمر الخارجية – وكانت من ربات الرأي والعقل – يخطبها محمد بن بشير لما قدم البصرة، فأبت أن تتزوجه إلا بعد أن يقيم معها بالبصرة، ويترك الحجاز، ويكون أمرُها في الفُرقة إليها، وكان محمد بن بشير هذا "رجلًا" فأبى طلبها، وذهب عنها يطلب امرأة ترضى أن تبقى معه امرأة، وتعامله كرجل لا كطرطور.

وبعد أن "جبَرت" سوق الباشوات والهوانم وملكات العرب، وحاز ألقابَ الشرف من بعدهم قوم آخرون، ممن لا يساوون في سوق الشرف – أحيانًا – مليمًا أحمر، حاولت أن أفتش في الذاكرة عن هذه الظاهرة، وعدت لأيام كنت أقرأ أخبار "نجوم" الفن، و "كواكب" السينما، و"سيدات" الشاشة و(فنانات) الرقص الشرقي

لأجد أن عددًا منهنّ من صواحب العصمة؛ على أساس أن الفن يحتاج إلى الحرية، ولا يحتاج لزوج جامد رجعي متزمت انهزامي شرقي العقل، يمنع الست الفنانة من "ممارسة" فنها الإبداعي..

فإذا تزوجت صاحبة العصمة الفنانة على هذا الشرط وقبل "الخُرج" فأهلًا وسهلًا، وإلا فإن "أبواب الفلّة بتاع حضرتها تفوت ستة حمير" في وقت واحد.

ولم يفت بنات أصحاب الأموال والموسرين وسيدات الأعمال أن تفكر إحداهن في "حكاية" العصمة أسوة بأميرات زمان "وما حدش أحسن من حد".

على كل حال بقيت هذه الأحوال استثنائية ونادرة، إذا ما قورنت بمجموع الناس الطيبين الطبيعيين، والنساء الطيبات الطبيعيات، اللواتي ترى إحداهنّ أن زوجها هو سبعها وجملها "اللي مِسَتّتها"..

وأن "ضلّ راجل ولا ضلّ حيط"..

وأن كلمة "حضرته" هي اللي تمشي في البيت.

وأن مرضاة الزوج من مرضاة الله عز وجل..

ومن رحمة الله تعالى أن الشذوذ دائما قليل نادر، ويتم في إطار خصوصيات اجتماعية استثنائية، لا في إطار ظاهرة جماعية عامة.

لكن المستقرئ للواقع الكنود والسامع للأصوات النشاز التي تعجّ بها آفاق هذه الأمة – شرقيها وغربيها – وملاحظة تيار الفكر اللقيط الذي يسعى للسيادة في هذا الزمن البائس الذي تحياه أمة يائسة ركبها الشيطان ليقودها من أذنيها، يلاحظ – دون مشقة أن هناك اتجاها مفروضا أو شبه قسري، يسعى لجعل النساء كلهنّ صاحبات عصمة:

هن اللواتي يقدن الرجل، ويحركن البيت، ويمارسن القوامة على وجهها الأكمل، وعلى المعترض أن يشرب من أي بحر يعجب سعادته، أو يلجأ للقضاء "ويبقى يقابلني".

وهذا الاتجاه يتدثر بالقوانين عشرة على عشرة، ويحتمي بالدساتير مائة بالمائة، وهو وليد مؤسسات وطنية حريصة جدًّا على "الصالع الحام"، ومن إعداد جهابذة الدراسات القانونية وأساطينها، وممن لهم خبرة منذ أيام الملك فؤاد الأول: وهم

حريصون جدًّا على صالح المرأة، فهي ستّنا، وتاج رؤوسنا.. هي نصف المجتمع، وثلاثة أرباع رواد البارات، وخمسة أسباع المصطافين، أو هكذا ينبغي أن تكون!

والصيحة التي يتنادى بها الناس الآن، ويتردد صداها في جنبات عالم الإسلام من أرخبيل الملايو لحوض السنغال، ومن حدود البحر الأسود لجنوب الصومال:

ورّثوا المرأة مثل الرجل..

امنعوا الزواج بالثانية..

ملّكوها هي حق الطلاق..

سوّوا بينهما في الشهادة..

أعطوها حرية مطلقة في الدخول والخروج وإظهار "المواهب" والمفاتن..

حتى تكونوا مستنيرين عصريين، ويرضى عنكم بابا نويل، ورامبو، والبنك الدولي، وجمعيات حماية البيئة، والصليب الأزرق.

ولا يظنن قارئي العزيز أنني أبالغ، فقد صدرت قوانين – فعلًا – في عدة دول "إسلامية" بنسبة لا تقل عن 90 في المائة تحمل هذه الأفكار في صورة قوانين، وصوّتت عليها المجالس النيابية، وأقرتها، وصارت قانونا يدخل مخالفه السجن؛ لأنه جريء متطاول على "الدستور يا سيادي".

وقد وقع في يدي عقد نكاح صادر في دولة إسلامية ضخمة، يزيد تعدادها على 130 مليون نسمة، و90 في المائة من سكانها مسلمون، حين قرأته كدت أسقط إغماءً، واحتجت إلى جرعة عاجلة من دواء الضغط الذي أتعاطاه، منذ لازمتني عادة قراءة الصحف، والكتب التنويرية، والشعر الحداثي، وأفكار دعاة تحليل المرأة!

وإليك قارئي العزيز هذه الفقرات من العقد، لكن أحذرك ألا تقرأ إذا كنت مريضا بالقلب، أو الربو، أو ضغط الدم؛ مع دعائي القلبي بالشفاء لكل مريض:

- ما دمتُ متزوجا بهذه المرأة فإن التزوج بامرأة أخرى – مباشرة أو بالوكيل أو بالفضولي – يوقع على الزوجة الجديدة ثلاث تطليقات!

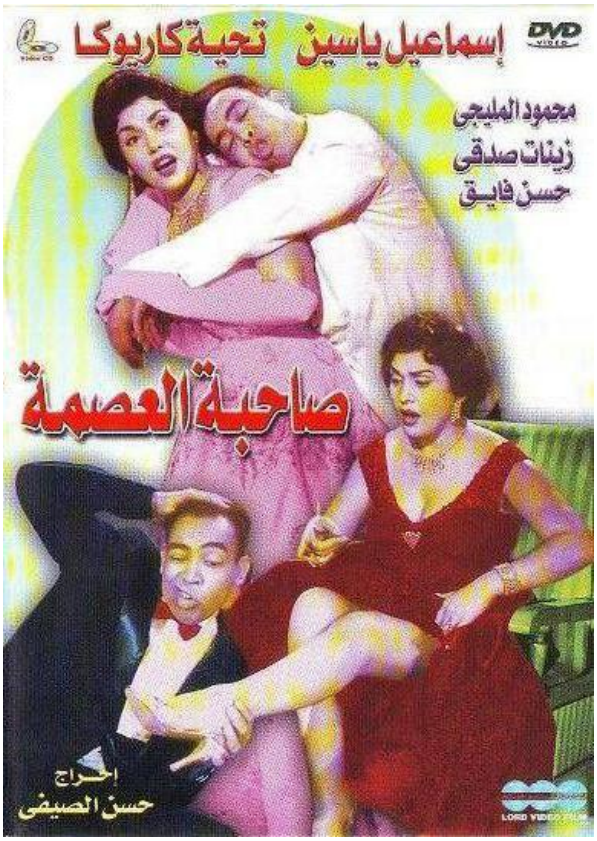


- إذا "أذنت" لي الزوجة بالسفر لأي مكان، يلزم أن أسلمها "نقدًا" نفقة ستة أشهر – كذا وكذا شهريا – على أن أعود إليها خلال شهر – إذا كنت داخل البلاد – وخلال ستة أشهر إذا كنت خارجها!
- في حالة منعي نفقتها أو عدم تمكني من الإنفاق عليها، أو عند استغلالي حليها بأي طريقة، أو بإيذائها – نفسيًّا أو عقليًّا أو جسميًّا – أو مخالفة أي بند أو جزء من هذا العقد، فإن الزوجة..

تملك.. صلاحية كاملة:

– بتطليق نفسها..

– ونكاح زوج آخر..

– وتقاضي جميع الحقوق مني..

– وأي شكوى ضدها أرفعها تكون مرفوضة في جميع المحاكم!

إن المستقبل – أعزائي الرجال – لخالعات البراقع والكاسيات العاريات، ولابسات البكيني، وراقصات الاستربتيز.

وعلى كل "رجل" غير مستنير، وغير متحضر، وكل سلفي جامد، وغيبي متدين، أن يفتش عن كرة أرضية أخرى، لأن أهل الاستنارة سيتبادلون الأدوار، ويتباهون بالأطواق الذهبية، وبطول السلسلة التي تسمح لأحدهم أن "يعجن عجين الفلاحة"، أو ينام "نومة العازب"، فإذا تردد أو تباطأ، نهرته "الست" وقالت له: عيب يا ميمي أحسن أطلبك لبيت الطاعة وأبهدلك في المحاكم، خليك مستنير أُمّال!.

مش صاحبات عصمة بجد؟!

## ع الهوا يا رسول الله!

سهل جدًّا أن تستخرج أسوأ ما في الإنسان؛ إذا استفززت شيطانه، وأثرت نوازع الشر فيه؛ ما لم يكن عنده من الإيمان رادع، ومن رجاحة العقل وازع، ومن الثقة بالنفس ما يجعله يستعلي على الإثارة والاستفزاز.. وما يلقّى ذلك (إلا ذو حظ عظيم) خصوصًا في زمن الأنا، زمن الورم النفسي، والانتفاخ الكذوب؛ حتى بين العرايا والمفاليس والفارغين الأميين!

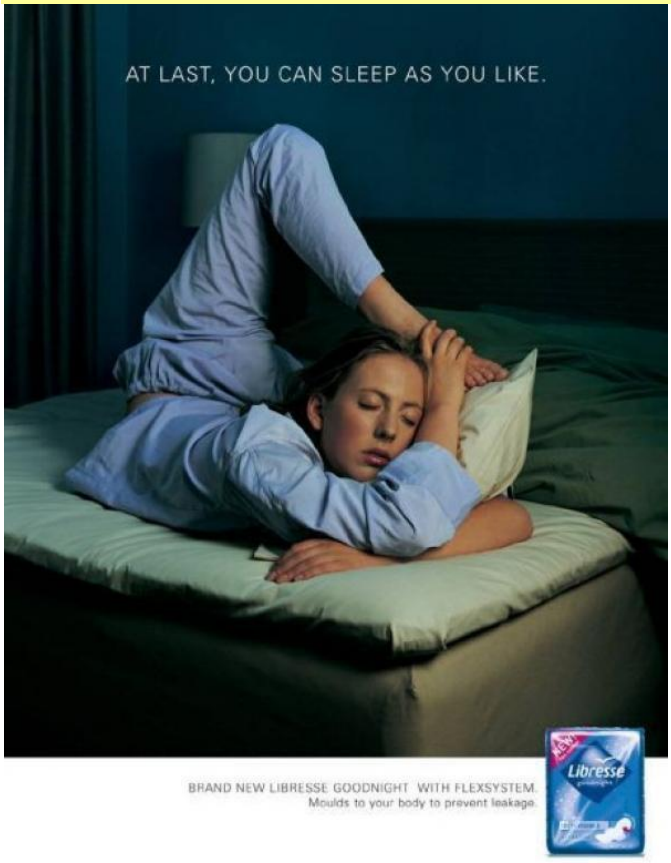


سهل جدًّا أن تجره إلى الغضب أو التباهي أو الاستعراض أو الثورة، إلى إظهار التواضع والحلم أو العنفوان والكبر!

اضغط فقط على مفاتيح الانتفاخ، أو مفاتيح الانفعال، أو التمادي، أو الهدوء.. وانظر كيف تكون النتيجة.

ومن هنا كان التوجيه النبوي العظيم: لا تكن عونًا للشيطان على أخيك.. فالصاحب ساحب.. يسحب من أمامه لأقصى اليمين أو لأقصى اليسار:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ  فكل قرينٍ بالمقارَن يقتدي

وهذا الأسلوب هو بالضبط ما استعملته السينما المصرية (البديعة) لتعرية النساء، وفضح الحرائر!

فقد ظلت زمانًا تقول إن المرأة التي تتحجب أو تنتقب (أيام زمان): وحشة/ قبيحة/ شكلها شكل الراجل/ وتأتي بعمدة أعمش متخلف هو عبد الرحيم بيه كبير الرحيمية قُبلي، ليقف وسط النساء، ويقول لهن بسماجة:

اللي مغطية وشها إيييه؟

فترد النساء مزغردات: وحشة يا عمدة.. ثم يكشفن جميعًا عن وجوههن!

ويستمر هذا الشكل القميء إلى يومنا هذا بالتركيز على المحجبة (أو المنتقبة) القبيحة/ المعقدة/ المتطرفة.. مع عرض الأخرى منفتحة/ متحضرة/ سعيدة/ مرحة/ واثقة/ منتجة/ متطورة.. إلخ

كما يمكن استعمال طريقة معاكسة، هي الثناء والمدح والضغط على ملامح الأنوثة في المرأة إذا أعطتك أذنها – ولو لثوانٍ – والغواني يغرهن الثناءُ!

وهذه طريقة تحسنها – أيضًا – السينما (المحترمة) حين تزعم أنها تركز على الجمال، والحرية، والانفتاح، والذوق، والعصرنة!

حين تضغط على (الفنانة) لتعصرها عصرًا، وتستحلبها استحلابًا؛ فتقيم لها الحفلات، وتعطيها الجوائز على الغثاء، وتسلط عليها الأضواء، وتسألها عن طعامها المفضل، وعن طول أظافرها، وهل الأفضلية عندها للمحشي أو البصارة الملوخية، ومتى تدخل دورة المياه (آسف)، ومتى فطمتها أمها، وما أول كلمة نطقتها وهي بنت شهرين، وهل بدأت حضرتها النجومية وهي جنين في بطن أمها، أم بعد الولادة بستة أيام.. لتتورم الست (المحروسة) وتعتقد أن الله – تعالى – لم يخلق منها غير نسخة واحدة بس!

(لعلك عزيزي القارئ تعلم أن كثيرات من هؤلاء اللامعات بصمجيات لا يقرأن ولا يكتبن، خصوصًا صاحبات العصمة الراقصات، والفنانات الرائدات، أو يدوب سانوية خاصة).

وبعد أن تنتفخ هذه البصمجية، و(تتأكد) أنها كائن فريد لا نظير لها، تبدأ في التعري، والتسابق على إظهار ما لا يظهر؛ بدعوى أنها فنانة/ متحررة/ تقدمية/ صاحبة رسالة/ متحضرة!

ثم يكون نثر السموم في كل مكان.. في كل وقت.. على مدار الساعة؛ وعبر السينما والمسرح والتلفزيون الذي تعمل قنواته على مدار ثواني اليوم.. ولتخرج قنوات (مسلمة/ عربية/ نشمية/ أصيلة/ بنت حلال/ زينة/ باهية) كل مهمتها أن تذيع أفلامًا

بعد أفلام، وأغاني بعد أغانٍ، ومسلسِلات بعد مسلسِلات.. لنقل ما يدور في غرف النوم، ونشر الفساد، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، والذين غفلوا، والذين استمرؤوا، والذين استباحوا!

والمدهش أن سيدنا المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه يستنكر على (المتحررين) أن يحكي أحدهم ما يكون بينه وبين أهله – بين امرأته في الحلال – ويعتبر ذلك أمرًا عظيمًا: [عسى أحدكم أن يخبر بما صنع بأهله، وعسى إحداكن أن تخبر بما صنع بها زوجها]!؟، فقامت امرأة فقالت: يا رسول الله: إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن!

فيقول صلى الله عليه وسلم: [مثل ذلك كمثل الشيطان لقي شيطانة، فوقع عليها في الطريق، فقضى حاجته منها، والناس ينظرون]!

ياه يا سيدي المصطفى! إنهم لا يحكون، وإنهن لا يحكين؛ بل يفعلون ويطبقون!

إنهم يفعلون.. على الهواء مباشرة.. طول النهار والليل، والفضائيات (القوّادة) تبيع اللحم الحرام ببلاش.. مجانًا..

الهيروين البشري متاح مباح معروض مدعوم محمي.. في فترينات براقة، وأفلام تتكلف الملايين، وساعات إرسال (إسلامية) تتكلف مليارات.

إنهم لا يقولون.. بل يفعلون ويطبقون..

وليس فِعل أحدهم مع (أهله) في خلوة، بل (على عينك يا فاجر)!

مع فنانة/ ملتزمة/ مثقفة/ واعية/ صاحبة رسالة؛ يا صاحب الرسالة العظمى، صلى الله عليك وسلم!

لن أتكلم يا سيدي المصطفى عن القنوات الغربية، ولا التفاخر بالفجور، ولا جيل الخنافس، والبنكس، ووودستوك، وألبومات إيروتيكا، ومهرجانات الفحشاء، وأسواق اللحم الأبيض التي تبثها الأطباق والكيبلات والفضائيات الغربية (المستنيرة)..

ليس هذا مجال كلامي الآن.. بل حسرتي على أسواق عكاظ العربية اليومية..

إنهم يقولون ويتوسعون.. ويصفون ويفعلون.. ويدعون ويرغّبون يا سيدي المصطفى!

كان النكاح في الجاهلية الأولى على أربعة أنحاء.. أما الآن فهو على أربعمائة طريقة: الديتنج/ تبادل الزوجات/ حفلات استعراض الفحولة/ عواهر الفترينات/ الزواج الحر/ المشاعية الجنسية/ النساء والنساء/ المخنثون والمخنثون/ المشترك/ الجنس مع الحيوان/ الممارسات الكلابية (أعني على قوارع الطرق)..

واللي يعيش يا ما يسمع ويا ما يشوف!

لم تعد القضية قضية رجل (أهبل) يستعرض فحولته بين أقرانه، ويذكر ما كان بينه وبين (أهله) بل انتقلنا إلى الاستباحة، والتعالن، والدعوة، والترغيب، وكلها جوالب لسخط الله تعالى، موجبة لعقوبته، معجلة بحرب منه سبحانه..

أليس تسليط دود الأرض علينا أوضح دليل؟

أليست هجمة اليهود والروم، وتمالئ الدنيا على أمة لا إله إلا الله برهانًا لا يقبل الشك أن الله تعالى – الحليم الودود – يعاقب هذه الأمة لمجاهرة نجومها، ورضا بعضها، وسكوت عقلائها؟

أليس الخوف الذي نعيشه، والجوع، والنقص في الأموال والأنفس والثمرات، برهانًا كافيًا لضرورة المراجعة والإنابة والرجوع للصراط السوي؟

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا.. ولا تسلط علينا – بذنوبنا – من لا يخافك ولا يرحمنا.

يا رب العالمين.

## على استحياء قالت:

نقطتان شديدتا الخطورة تركز عليهما دعوات التحرير، وتتفن في حربهما، وتحاول القضاء عليهما بألف طريقة وطريقة، وهما في الحقيقة مدار هذه الدعوات.

وأية صيحات، وأية تكتيكات ومناورات، وأية دراسات، وأية محاولة، وأي شكل، في الشرق والغرب، بالشيوعية والليبرالية، والحداثة والاستنارة، بالتهويد والتفسيق، كل هذا إنما يدور حول تحقيق هاتين النقطتين: إلغاء حياء المرأة، والقضاء على عفافها وطهارتها.

صناعة امرأة لا تستحي من أي شيء، وتستبيح أي شيء: لا تستحي أن تكون هي البادئة، لا تستحي أن تَعْرَى جزءًا، أو كلًا، لا تستحي من الله تعالى، ولا من عباد الله، لا تستحي في خلوةٍ أو جلوةٍ، لا تستحي من مَحْرَمٍ ولا غريبٍ، لا تستحي من دنيا ولا آخرة، إنما هي تفعل ما تريد، فكما تتنفس وتأكل وتشرب.. تتعرى وتفسق وتفجر!

امرأة قبيحة مستبيحة، تستبيح العبث، وتستبيح نتائجه، تستبيحه وهي زوجة، وتستبيحه أيمًا، تستبيح قبل الزواج وبعده، تستبيح وهي شابة أو وهي دردبيس فانية.. تستبيح في أحيانها كلها؛ لأنها تعتقد، وقد انغرس في وجدانها – مع كثرة الإلحاح والتكرار والضغط والإقناع – أنها لا تأتي منكرًا، بل هي تستمتع، وتعيش أيامها... (دا العمر هو الحب وبس)!

بل إنهم يحرصون جدًّا على إلغاء المساحات الزمنية في عمر الإنسان تمامًا. فيذيبون الفروق بين الطفل، والمراهق، والشاب، والكهل، والشيخ الفاني، بحيث يكون الناس – في هذه المراحل كلها – تائقين شبقين، راغبين مرغوبين.

حتى وهي في (عز) الشيخوخة، ترى الغربية المتكلسة، التي انتهى عمرها الافتراضي، وصار من الواجب أن تعامل مثل (خيل الحكومة) قد ازينت وتمكجيت، ولبست

البنطلون، أو رفعت ثوبها إلى ما فوق الركبة (كسِتّ الحسن أولبرايت) وأعلنت على الملأ عن مغامراتها وتجاربها، وفضائحها المشرّفة المستنيرة!

هما نقطتان يتقنع الباطل بألف قناع وقناع وهو يدندن حولهما، ويلف ويدور لتحقيقهما، وينفق الملايين والملايير من أجل سواد عيونهما.

وصار من الأدبيات الغربية استنكار الحياء، واعتباره نقصًا في الشخصية، وضعفًا في التكوين، ومرضًا يحتاج لعلاج.

وصاروا يكافئون الشاب (أبو عيون جريئة) الذي يحسن البصبصة والبحلقة والنظر الممعن.

وصاروا يقدمون الفتاة على أنها (ما بيهماش حاجة) والشاب على أنه مقدام غير هياب، يقتحم المرأة أمامه بعينيه، متفحصًا، مستبيحًا، داعيًا، لا يردعه شيء، ولا يكسر عينه شيء!

لذلك، فإنهم يجرّمون القرآن – صراحة أو ضمنًا – حين يتحدث عن الفتاة الصالحة، التي جاءت نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم و: (عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ: إِنَّ أَبِي يَدْعُوك.....) (القصص: 25)

ولماذا على استحياء؟ أهي تسرق؟! أم تطلب ما ليس لها؟!

أم تخاف الرجال لأنها (وِحشة)؟! أم عندها عقدة؟!

لماذا على استحياء؟!

وهم يجرّمون السنة أيضًا، ويعتبرونها غير مناسبة، وغير (متحضرة)، ربما لأن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه هو الذي كان يحرض على الحياء؛ لأنه: "شعبة من الإيمان/ لا يأتي إلا بخير/ استحيوا من الله حق الحياء".

وهو صلى الله عليه وآله وصحبه لم يكن مجرد محرض؛ بل كان في سلوكه صلى الله عليه وآله وصحبه "أشد حياء من العذراء في خدرها" معقول؟!

ابنة النبي شعيب صلى الله عليه وسلم جاءت النبي موسى صلى الله عليه وسلم و(عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ) (القصص: 25)، وفي السينما الغربية تجذب البنت عشيقها في الشارع، وتفك بيدها عرى قميصه، و(سحّاب بنطلونه) ولا داعي لذكر الباقي!

وفي السينما العربية (تخرج) المخرجة المتطرفة إياها أفلامًا ليس فيها ذرة واحدة من الحياء أو العفة أو الشرف، وفيها عبارات في غاية الإسفاف والدناءة، يستحي الرجل الكريم أن ينطق بها، تدور على ألسنة فتيانها المستبيحات، في أفلامها الجنسية التي تستفز كل صاحب دين.. لتهبّ على القلوب والعقول موجة عفنة الرائحة من أفلام الفساد والدعارة (المباحة رقابيًّا!):

مرسيدس، النعامة والطاووس، الساحر، الرغبة، أسرار البنات.. وفيه ترمي نصف نساء المجتمع المصري بالزنى، وتسأل إحداهن بطلة الفيلم:

- هو الواد حبِّك على إيه؟
- عشان ما انضربش فِيّا مفك؟ (يا لطيف) منتهى الحياء من فنانات التنوير والاستباحة!

وتتلفظ النسوة الفاضحات المفضوحات في فيلم (الرغبة) بعبارات تصعب كتابتها (لفحشها الشديد)، حيث تدور حول (مؤخرة) إحدى البطلتين، أو الممارسة الفاحشة التي تستبيحها (!) (ميدل إيست أونلاين 2002/5/7م).

كما أن فيها أفكارًا لا تعتمد إلا على الهدم والتدمير والتطاول والاستباحة المطلقة، التي لا تخاف الله تعالى ولا ترجو اليوم الآخر، حتى إن المحكمة قالت عن فيلمها (مذكرات مراهقة) إنه يشجع على انتشار الرذيلة والفحشاء، ويدعو الشباب – صراحة – للعزوف عن الزواج والانخراط في الحرام، وأنها تخصصت في أفلام العري والجنس والإثارة (الإسلام اليوم 2/6/ 2002).

الغريب أن شرطة المصنفات الفنية كانت تطارد مثل هذه الأعمال؛ باعتبارها خروجًا على الدين والقيم، والنظام العام والآداب، فباتت تحميها، وتقرها، وتراها نوعًا من حرية الرأي، والتطور، والاستنارة!

**إلى أين ينزلق المجتمع المسلم؟ وإلى أين سينتهي به الحال؟ ذلك المجتمع الذي يحرم النقاب ويجرم تجريم الشواذ، ويرفض مجرد لفت نظر بطلات: الحرام والعيب والعار والكيف وخمسة باب وأسرار البنات!!**

**ألسنا نؤكد أننا على سنن اليهود والنصارى – حذو القذة بالقذة – نسير، حتى لو إن منهم من أتى أمه علانية لكان فينا من يفعل ذلك؟!**

**إنا لله وإنا إليه راجعون.**

## كلم ربك بالموبايل!

على طريقة فرعون المتطاول الذي سأل باستعلاء نفس، وتجاهل قلب، ووساخة عقل: (وما رب العالمين) قالت باستنكاف: مش هابطّل.. خلي ربك يعذبني!

وحكاية هذه الشابة المتفرعنة، التي أهلكها الله تعالى، معادة مكرورة في التاريخ، فكم ظهر متطاولون سيئو الأدب، يحلم الله تعالى عليهم، ويمهلهم، ولا يعجل لهم بالشر استعجالهم بالخير..

وليس العجب من يهودي أو نصراني، أو هندوسي متعصب متعجرف – في رأيي – يسب الله تعالى، أو يتطاول على سيدي المصطفي، أو يحقر من شأن الدين؛ فإنه ليس بعد الكفر ذنب.

ولكم أمهل الله تعالى نماردة الشيوعية، وملاحدة الوجودية، وعبدة الفروج، والقرود، والصراصير، وكل ما لا يخطر بعقل عاقل..

المشكلة الطامة في كائن يمكن أن يكون اسمه محمدًا أو أحمد أو عليًّا أو عبد الرحمن، ولد لأبوين مسلمين فقيرين بسيطين ضعيفين، يسألان الله الستر والعافية، فلما نبت ريشه، وقوي جناحاه، سلب الله بصيرته، ولم يعد يؤمن إلا بالمحسوس، فقال مقولة ابن آمون: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ: يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا؛ لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ، فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى، وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا) غافر: 36، 37، يريد الأحمق أن يصعد إلى السماء، وأن يرى الله تعالى بعينه الكليلة، وحيلتة القليلة، كما فعل يوري جاجارين الذي ينسبون إليه أنه لما صعد إلى الفضاء، أول ما صعد، زعم أنه بحث عن الإله – تعالى – فلم يجده، وكان في نشوة المدّ الشيوعي الكنود، ولم

يمهله الله تعالى طويلًا، بل قصمه في أوج شبابه، وأوج إحساسه بالانتصار، فأهلكه على الأرض، وهو يقود سيارة.

المشكلة الطامة في كائن يمكن أن يكون اسمه محمدًا أو أحمد أو عليًّا أو عبد الرحمن، يصرخ فيمن أمامه: هات ربنا وأنا أحطه معاك في السجن.. أو يقول: اخرأ باسم ربك.. أو يقول: لا إله.. وبس!

أعود لأتأمل حال هذه الشابة بنت المسلمين، التي نشأت في جزيرة العرب، والتي اغترت بشبابها وجمالها، وازدهت بنشأتها وسلطان أبيها (ربما)، وانخدعت بتجوالها ورحلاتها، فلم تجد في الإسلام إلا ما يمنعها من أن تعيش منطلقة، بلا قيد من خُلق، أو وازع من تقوى، أو ناهٍ من حسن تربية، مع غياب كاملٍ لأب مؤثر، أو أم مهتمة، أو عَصبة تحوط برعاية، وتأتي بعد ذلك شِرّة الشباب، وسطوة الجمال، والاغترار بحلم الله تعالى، الذي يفتح أبواب التوبة والاستغفار للعبد، مهما بدا ذنبه عظيما – والحمد لله تعالى على حلمه وعفوه وودّه عباده – ولا يسلب العقل مثل الخمر والمخدرات وجنون الشهوة، مع شِرَّة الشباب التي سلبت المسكينة عقلها، فسبّت ربها، وخسرت آخرتها، فعاجلها الله تعالى بعقوبة لم تتحرك بعدها إلا إلى القبر، لتخسر بعد آخرتها دنياها (أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الزمر: 15، ثم لتفتضح أمام الناس، الذين تحلقوا حولها، لتكون عبرة لمن يخشى.

إنها صورة من صور سوء الخاتمة التي سمعنا الكثير منها – نعوذ بالله من الحور بعد الكور – وقارن أخي بين من يموت في ليالي رمضان وهو ساجد في التهجد، أو المصحف بين يديه، أو في رحلة للعمرة في عشر رمضان الأواخر، وبين من يموت (مسطولًا) أو عريانا، أو في طريقه لمعصية..

بين من يموت وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومن (تفطس) وهي تقول: كلم ربك بالموبايل، خليه يعاقبني!

اللهم أحسن ختامنا بفضلك، واقبضنا إليك غير فاتنين ولا مفتونين، واجعلني والسادة القراء وجميع المسلمين من عتقائك من النار.. يا رب العالمين.

## لا أحل لك أن تفض الخاتم!

أتعجب كثيرًا حين أتأمل دلالة الخاتم، أو غشاء البكارة الذي أكرم الله به أنثى الإنسان.. وأسبح الله تبارك وتعالى على حكمته وصنعته..

إنها تشبه من جانب ما فكرة البضاعة الملفوفة بعناية فلا تمسها يد، ولا يلوثها فضول!

فكرة الطعام النظيف الذي لم تقف عليه ذبابة، ولم يطف به صرصور، أو دودة، أو أربعينية، ولم تقع عليه ذرة غبار..

فكرة السيارة الجديدة (ع الزيرو).. فالفرق بينها وبين المستعملة فرق كبير – ماليًّا واجتماعيًّا، وحتى نفسيًّا – وإنه هنا فارق الإحصان، والنقاء، والطمأنينة، وثقة القلب بسلوك حبيبة القلب..

إنه أشبه ما يكون بشهادة حسن السيرة.. تقدم هنا للزوج؛ ليتأكد أن حليلته لم تكن إلا له.. وأنه أول من اقتحم قلبها.. وامتلك مشاعرها..

وهو ملمح طبيعي تهتم له نفوس الرجال (الرجال) والعفائف الكريمات اللواتي لم تدنسهن أرجاس الاستباحة، ولم تنتهك عذريةَ مشاعرهن أفكارُ السقوط المزوق الجميل المغلف بأغلفة الليبرالية ودعاوى التحرر.. بينما هو – أول الأمر وآخره – سقوط وعار وشنار، مهما وصفوه، وزينوه، وجملوه.. ومهما قالوا له: يا أحمر الخدين!

وكثيرًا ما ترتد البشرية، أو تسقط في مهاوي الحيوانية التعسة حين تزين لنفسها أن ما في رأسها أعلى من شرع الله تعالى.. وأن ما تعلمه أقوم وأهدى من هدى الله.. وتَعمى لدرجة أن تعتبر (الخاتم) فضلة زائدة (أخطأت الطبيعة في خلقها) وأن على البنت أن تتخلص منها.. وأنها إذا بقيت عذراء حتى السادسة أو السابعة عشرة فإنها ربما تكون معقدة مريضة تحتاج طبيبًا يعالج نفسها، ويجبر كسرها، و... يفض بكارتها!

وحتى ترصد امرأة بريطانية اسمها آني تايت Anny Tight جائزة لمن تكون عذراء يوم الدخلة فلا تتقدم للجائزة امرأة واحدة منذ عام 1994!!

وحتى تجترئ بعض العربيات وبعض النشامى الصناديد (؟!) أن يهاجموا اعتبار الغشاء رمز عفة.. ويتحدثوا عن أنه رمز تخلف ورجعية.. وأنه (مفهوم بطريركي برجوازي ذكوري قمعي إقطاعي ديني) كما كتبت غادة السمان ونوال السعداوي وعبد الهادي عباس وخليل أحمد خليل، وكثيرون غيرهم من التائهين العور.. الذين ينظرون بعين أنكل سامّ.. ويتبعونه حذو الكأس بالكأس، والسقطة بالسقطة!

مريم البتول العذراء الكريمة – التي اتهمها الملاعين بالزنا – حين خافت رجلًا غريبًا على عرضها لجأت لله تعالى مستغيثة: (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا) لأنها بنت نقية طاهرة صديقة لا توزع الابتسامات، ولا تستجدي نظرات الإعجاب.. ولا تشتهي لحظة حرام مسروقة.. ولو قالوا – زورًا وبهتانًا – إنها لهو بريء.. وشباب بينبسط (كما وصفوا أفعال عبدة الشياطين في بلاد المسلمين)!

والبنت العفيفة النقية التي كان يطاردها ابن عمها.. ويراودها.. ويتحرش بها ويتربص.. وهي تتأبى وترفض (حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءته، فأعطاها عشرين ومائة دينار؛ على أن تخلي بينه وبين نفسها)!

ويبدو أنها كانت تعيش في زمن نذل كعصرنا، فلم يهتم لها أخ ولا عم، ولا ولي ولا سلطان، ولا جار ولا ابن حلال، ويبدو كذلك أن الجوع عضها، والحاجة أعوزتها لتنزل عن أثمن ما لديها، مقابل كسرة خبز تسد جوعها، وقطعة قماش تستر عريها!

وكان ابن عمها – كسائر من حوله – نذلًا، خسيسًا، لا يهتم بابنة عم، ولا ابنة خال، فاغتنم الفرصة، وساوم العفيفة على شرفها: الفلوس مقابل عرضك، سلمي نفسك واستلمي الرغيف (والجوع كافر، ومن تعولهم جياع، والأيام قحط) ونزلت عن عرضها مكرهة.. وأسلمت نفسها على مضض.. وهي تهتف به:

يا بن العم.. يا محترم.. يا حاميها وحراميها: أنا عرضك، أنا في عرضك، اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه.. لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فما دفعني لما أنا فيه إلا الحاجة، التي تقصم الظهر.. وتؤدي للعهر..

وأثارت توسلاتها الصادقة في أطواء نفس الرجل بقية من النخوة، والحياء من رب الأرض والسماء (فتحرج من الوقوع عليها، فانصرف عنها، وهي أحب الناس إليه، وترك الذهب الذي كان أعطاها) وتركها لله عز وجل..

– ولقد بدأت الغيرة على (هذه الرقعة الزائدة) تخف منذ بدأت السينما العربية تركز على أفلام التهوين من الحفاظ على الشرف، وتقدم لنا صورًا ونماذج (للمومسات الشريفات!) من خلال كتابات المرحومين نجيب محفوظ ويوسف إدريس والسباعي وإحسان روز اليوسف (الثلاثية وميرامار والثرثرة والحرام وأنا حرة والنداهة... إلخ القائمة)!

– وبدأت تخف مع تقديم صورة الزانية (المظلومة) التي انتهكها ابن الباشا، وصاحب المصنع، والولد الألعبان الذي استغل سذاجتها (وسقاها حاجة صفرة) ثم استباحها، ليتعاطف المشاهد دائما مع الزانية!

– ومنذ أطلق (العميد) يوسف وهبي صيحته الشهيرة.. يا للهول: شرف البنت زي عود الكبريت ما يولعش إلا مرة واحدة..

– ومنذ أُطلقت النكات البذيئة في الحفلات الجماهيرية عن الرجل الديوث (اللي بياكلها بمزاجه) أي الذي يلاحظ سوء سلوك امرأته.. ويتغافل عنها!

– وبديهي أنها – منذئذٍ – لم تتوقف أو تخف، بل هي في تمادٍ وازدياد، مع تمادي الهيمنة الفكرية، والقصف الجوي الإعلامي على مدار الساعة، براجمات الأفلام وقذائف المسلسلات وسيول أغاني الفيديو كليب، وأفلام البورنو التي تتفنن في نشرها الفضائيات الحرة المتحضرة المستنيرة.

وببراءة شديدة أتساءل:

- متى كانت السينما العربية بريئة؟ ومتى كانت تعمل اعتباطا دون تخطيط ماسوني محكم مدروس؟
- حملات التجويع العالمية المنظمة خصوصًا في بلاد العالم الإسلامي (أكثر من خمسين دولة): أليست من أوسع أبواب نشر الرذيلة، ودفع الحرائر لبيع الأعراض؟

- **أليس تجويع الدعاة وإحواجهم للمرتبات الفتات.. وتشريدهم أيادي سبأ.. أليس ضربًا من القمع والقهر.. والتجويع المخل المذل؟**
- **أليس الاتجاه العالمي الآن هو إلغاء الطبقة الوسطى من مجتمعات العالم الثالث المباركة، بحيث تكون قلة من الناس أغنياء بتطرف، و كثرة منهم فقراء بتطرف، ليبيع كل منهما بطريقته؟!**

**امرأة العزيز تبيع عرضها (ببلاش) كشأن المترفين..**

**وهذه الفقيرة تبيع عرضها مقابل رغيف الخبز.. ولا وسط..**

**الغني يبيع استمتاعًا أو شرهًا، وكبرًا واستباحة!**

**والفقير يبيع جوعًا وفاقة، وانسحاقًا واضطرارًا!**

**والنتيجة واحدة: قتل المروءات والنخوة.. والدين والقيم.. والعفاف والحياء..**

**النتيجة الحتمية تدعير الكرة الأرضية: بالإعلام والأفلام/ بالإفقار والإغناء/ بالاستباحة والاستطالة..**

**إن أجمل ما كان في هذه المرأة أنها – في هذا الظرف الضاغط – لم تنس الله تعالى..**

**وكذلك لم ينس ابن عمها..**

**وأن الله تعالى يحفظ أولياءه والعائذين به من شياطين الإنس والجن..**

**وأن نفهم من هذا الدرس البليغ الفذ أن علينا أن نربي بناتنا على هاجس المحافظة على الشرف..**

**وأن على الأم أن تغرس في خلايا كريماتها أن شرفهن أثمن ما عندهن..**

**وأن ندوس بأحذيتنا تزويق المستبيحين، ووقاحة المجترئين، ووسوسة المتشيطنين.**

**سؤال بريء آخر:**

**أعرفتم لماذا تنتهب الأوقاف.. وتغلق الجمعيات الخيرية، ويتهم المحسنون، وتجفف الينابيع؟**

**يا رحمن رحمتك وغوثك.. لا تمنع عنا بذنوبنا فضلك.. ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا.. يا قوي يا عزيز..**

## ابني.. ضنايا

أم سهيل عليها رحمات الله

لا يختلف الدارسون كثيرًا في أن القيم والأخلاقيات في بلادنا قد تغيرت تغيرًا طفريًّا في السنين الثلاثين، ختام القرن العشرين.

ولا أظنهم يختلفون على أن هذا التغير ليس – بالتأكيد – في صالح القيم الإيجابية البناءة، الموافقة للفطر السليمة، والمشارب القويمة..

واسمح لي سيدي القارئ أن أصر على أن القيم عند الماضين كانت أعلى، والمروءات كانت أرسخ، والفضائل كانت أثبت وأرسى، ومعاني الشرف والأمومة والزوجية والقرابة والتكافل كانت أكثر تبلورًا، وأكثر تجذرًا، وأعمق في النفوس.

كما أرجو أن تسمح لي أن أزعم أن الكلام عن بعض القيم التقليدية بات لبعض الناس غريبا، أو غير معقول في بعض الأحيان..

وليس العيب عندئذٍ في القيم، بل في انحراف الفطر، واستمراء العوج:

قد تنكر العينُ ضوءَ الشمس من رمدٍ  وينكر الفمُ طعمَ الماء من سقمِ

والذي عاش في مجتمع ريفي في الخمسينيات والستينيات من قرننا العشرين يعلم يقينا الفرق بين الناس في هذه الحقبة والناس الآن، وكيف كان التماسك الاجتماعي، والترابط العائلي، وكيف كان احترام الكبير، والمعلم، والشيخ، وكيف كان تعظيم الجوار، وعلاقات أهل الحارة أو "الزمام" بعضهم ببعض، وكيف كان وفاء المرأة لزوجها، وارتباطها ببيتها..

ثم سيرى أنه قد حان علينا حينٌ من الدهر طلع فيه بعض (النوابغ) ليخبرونا أن القيم متحركة غير ثابتة، وأنها تخضع للمواقف والمتغيرات Ethics of Situation.

وأن فكرة الاحترام والطاعة فكرة متخلفة وغير صائبة، وأن البيت ليس فيه ما يستحق من المرأة أن تحبس نفسها له، وأن الزوج ليس له هذه الأهمية بالنسبة للمرأة، وأن كلًا منا لن يعيش غير مرة واحدة، لذا فإن العقل يقتضينا أن نفعل ما يحلو لنا، بعيدًا عن العُقّد والمثاليات، و... الدين!

ولا يخامرني شك في أن هؤلاء النوابغ إما غافلون – إن أحسنّا الظنّ – أو هم متآمرون خونة، فأفكارهم كلها طبقت في الفلبين وتايلاند، واختُبرت في أوغندا وزائير، وعُمل بها في البرازيل وكوبا والأرجنتين، ودول العالم الثالث عشر كلها، فصار الناس هنالك – يا حسرةً على الناس – لا دين ولا دنيا، ولا قيم ولا أخلاق، ولا أسر ولا استقرار.

وأفكارهم – كلها – حاكت نمط الحياة في الغرب، ففقدوا – في الجملة – معنى الأسرة، والأمومة، والأبوة، والبنوة، حتى سمعنا عن فرنسية تضع ابنها في سيارة بجانب النهر، ثم ترفع الفرامل، وتدفع السيارة لتغوص عميقا في الماء؛ لأن صديقها يريدها وحدها بدون أولادها؛ إن شاءت أن تستمر علاقتهما الحرة الحرام!

وأخرى تبيع رضيعها من أجل (شمّة هباب)، وثالثة ترمي وليدها من النافذة؛ لأن بكاءه المستمر (ينرفزها)، ورابعة، وخامسة، وعاشرة.

لكن ما لها رحمها الله ولهذا المسخ للآدمية والفطرة السوية؟!

إن رؤيتها تختلف، وإن قناعتها أن سعادتها، وسلامة دنياها وأخراها في أن تكون ست بيت، وصاحبة رسالة حقيقية.. وحاملة هم مملكتها الصغيرة الأثيرة..

كانت تحب أن يكون زوجها (سي السيد) الذي يذمّونه أنموذجا، فخرّبوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المقلدين، لتبني هي بيتها وتؤدي رسالتها...

ورغم أنها عاشت ثلاث سنين من العشر الأواخر في القرن العشرين، فإنها كانت وفية لهذه الأخلاق التقليدية، متعصبة لها: أخلاق الارتباط بالبيت، والاستمساك بالزوج، والتفاني في سبيل فلذات الكبد، والحب الشديد لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وللإسلام العظيم، أحسبها كذلك والله حسيبها.

وكانت وفاتها – بل شهادتها فيما أرجو – منبثقة عن استمساكها بهذه الأخلاقيات، والموقف هنا موتٌ لا تمثيل فيه، ولا تصنّع، بل إن الإنسان لتكاد نفسه تظهر عارية أمام الموت، وقد قابلَت هي ذلك بشجاعة لتهب الحياة لأبنائها: كالفارس الذي يجازف بروحه في سبيل دينه، والرجل يدفع عمره صونا لعرضه، رأيناها وهي تندفع بجرأة خالية من المبالاة بالنفس، أو الاحتفال بالنتيجة، المهم إنقاذ الأطفال من البحر الطامي والماء الدوّام.

كان الرجال بعيدين بمسافة، وكان عدد من الصغار على وشك الغرق، بعد أن توغلوا قليلًا في ماء الخليج الذي ارتفع شيئا ما فوق قاماتهم القصيرة، ولاحظت هي أن الموج الغادر قد بدأ يحملهم للداخل أبعد وأبعد، فاندفعت في الماء بثيابها – وليس لها أدنى فكرة عن السباحة – وأخذت تمدّ يدها – رغم النداءات والتحذيرات – ليلقي اليمُّ الأولاد بالساحل، وليبقيَها هي هناك في اللجة، حيث لا أحد يستطيع أن يخرجها، لتنطق بالشهادتين، ثم تتوالى الكرامات، فقد غرقت طافيةً على وجه الماء، ولم تغص، ولم يختف جسدها، رغم مضيّ أكثر من نصف ساعة – حتى جاء رجال الشرطة الذين اندهشوا؛ لأن عهدهم بمثل هذه الحالات أن تغوص الجثة، ثم لا يعثروا عليها – بفعل الموج واتساع المساحة – إلا بعد أكثر من شهر، وربما لم يعثروا عليها أبدًا.

كنا واقفين، وهي على وجه الماء أمامنا حتى انتُشلت، لنعود بها، ونرى كيف انفتحت كل الأبواب المغلقة لتيسير الدفن، ثم لتبكيَها المدينة كلها، ولتكون جنازتها شيئا مشهودًا، ويحزن لموتها نساء ورجال، وعلماء وجهال، ومن عرفها ومن لم يعرفها، فقط لأن الله عز وجل طيّب ذكرها في الناس – والناس شهود الله في الأرض – ويتتالي مسلسلٌ من اللطف الرباني، والكرامات التي يكرم الله تعالى بها أمَةً من الراضيات بالله تعالى ربا، وبدينه دينا، وبنبيه نبيا ورسولًا.

صدّقوا إذا سمعتم عن أمٍّ تقتحم النار من أجل طفلتها الرضيعة، تحاول إنقاذها، أو تتصدى لسيارة سريعة لترمي صغيرًا بعيدًا عن عجلاتها.

لا تظنوا أنها مبالغة قصصية، ولا دراما تلفازية، اللهم إلا إذا كانت هذه الأم من الأمهات المدمنات للظهور الاجتماعي، والحفلات الباذخة، المشغولات دائما بالمظاهر التي تجعل إحداهنَّ تدفع طفلها الرضيع لرابيا وماري وليز، محافظةً على مركزها الاجتماعي، ورشاقة شكلها ومظهرها، والتمكن من حضور (البارتيهات الْيايْ).

صدقوا فقد حدثكم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عن المرأة التي كانت في السبي تبحث عن رضيعها، حتى وجدته فألزقته بصدرها، فيسأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه: (أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟!).

إن الأم الفطرية لا تطرح ولدها في النار.. أي نار: نار الخادمة الجاهلة، أو نار دار الحضانة، أو نار المرض، أو نار اليتم الاختياري، أو نار التغريب والزيغ العقيدي!

الأم المسلمة الصادقة لا تفعل هذا.. صدقوني..

فأنا أصدق كلام ربي تبارك وتعالى.. وأصدق النبي الأمين صلى الله عليه وسلم.

ورحمك الله يا أم سهيل برحمته الواسعة.

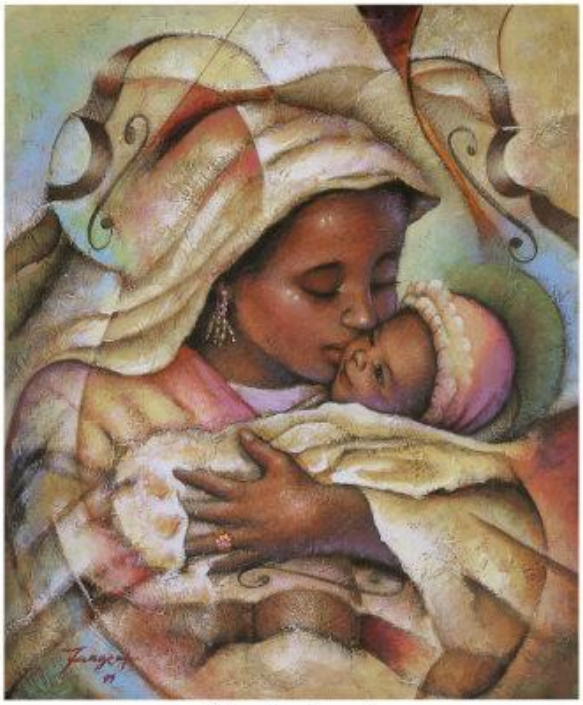

Motherhood

## دا شيخ وسره باتع

### ملاعيب الشيخ صادومة

رغم أن الإسلام جاء ليغرس منهج التفكير العلمي، وقبول الأشياء بأدلتها – لا بالبلاهة والتسليم الأعمى – ورغم أننا "نتفسح" الآن في أرجاء المجموعة الشمسية، ونغوص في أعماق المحيطات، و"نسوي الهوايل" في آفاق كانت "ولا في الأحلام" فإن العقلية الخرافية التي تقبل الدجل، وتؤمن به، وتتفاعل معه منتشرة ومتفشية حتى بين "النخبة" من المستنيرين و"المسقفين" وأصحاب المشيات "الأليطة".

فإنك لتجد عندهم الأحجبة، وفي سياراتهم حدوة الحصان، وفي رسغ أحدهم "حظّاظة" يتفاءل بها، وعلى لسانه "امسكوا الخشب" أو تتش وود (إن كان يعرف ثلاث كلمات إنجليزيات) ويسمع الكلمة أحيانًا فيتشاءم بها، ويسودّ وجهه، ويحس أن نهاره صار "منيّل بستين نيلة" بسبب كلمة زعمها مشؤومة!

وليس به إلا قلة العقل وعكارة التوحيد.

وتجد بيوت الدجاجلة وقد تقاطر عليها وجوه الناس "وخلاصتهم" من ممثلين، وكتّاب، وساسة، وراقصات، يبتغون دفع النحس، أو رفع مستوى الحظ.

ويعيش على دماء هؤلاء نصابون يزعمون لأنفسهم القدرة على كل شيء؛ معرفة البخت، والحل والربط، والتحبيب، وزرع البغض، وتسليط العفاريت على الخصوم، وتقبيح فلانة إلى "حبيبها" وفلان إلى "عشيقته"..

ويمكن أن ترتفع الفيزيتة إذا كانت لتقوية القدرة الجنسية، أو لصناعة إكسير يطيل العمر!! وينعّم البشرة التي تشدها النجمة الفاتنة للمرة الخمسين.

وتدور الأخبار عن سيدنا الشيخ عطوة صاحب السر الباتع – لعله الماتع – وأم زينهم صاحبة الفنجان "اللي ما يخرّش المية" ومدام سوسكا اللي بتفتح الكوتشينة، والغجرية عطاف اللي "بتبين زين".

وحين تسوء الأحوال مع بعض هؤلاء النصابين الذين يمارسون كل ما حرّم الله: ابتداءً من الكفر والاستعانة بالجن، إلى الزنا واللواط، وأخذ أموال الناس بالباطل، والسيطرة على عقولهم، بمائة طريقة وطريقة.. حين تسوء الأحوال، وينكشف المستور يفاجأ الناس بفضائح مخزية يندى لها الجبين، ما مكّن لها إلا تفاهة عقولهم "الخايبة" وسيطرة العقلية الخرافية على قلوبهم، حتى إنه لتنُتهك أعراضهم، ويُطلّع على عوراتهم، وتُشفط أموالهم "حار ونار" وهم راضون مقتنعون!

وهذا الشيء قديم منذ أيام كهنة الفراعنة، وسدنة النار، وكَذَبة التصوف المنحرف، والقساوسة الذين يُخرجون الجن، ويُركبون الناس العفاريت، وهم راضون مستسلمون، ظانون أن هؤلاء الدجاجلة ينفعون أو يضرون.

وهم يطوّرون أنفسهم ووسائل كذبهم، ففي أواخر القرن العشرين تتم معرفة البروج وقراءة "البخوت" بالكمبيوتر – الديسك في الأسواق – والإنترنت والأبراج النارية والمائية، والتارو، ومعرفة البخت من الخط، والعمل السفلي الذي لا يتم إلا بالزنا والكفر (هذا شرطه).

وهم ينشئون جمعيات للفلكيين ومحضّري الأرواح، وينشرون النبوءات في وسائل الإعلام مطلع كل عام، بموت فلان، وطلاق فلانة، وانتحار علان، وإجهاض ترتانة من حملها من صاحبها قبل السابق!

ويزيد عدد هؤلاء النصابين، ويتضاعف في متواليات خبيثة في أزمان ضعف الدين وانكسار السنّة ... وتتشابه الوقائع رغم اختلاف الزمان والمكان والتفاصيل.

اقرأ – مثلًا – هذه القصة القديمة الجديدة:

في سنة 1291 هـ – أي قبل 141 سنة من الآن – عاش الأمير يوسف بك الكبير، وكان قويًّا بطاشا، يغصب الأموال، ويحتجن الأملاك، ويستولي على ما يشاء دون رادع أو وازع، وكان فيه نوع هوس: حدة زائدة، وتخليط في الأمور، واشتعال

وانطفاء. ولم يكن يستقر به المجلس، بل يقوم ويجلس، ويصرخ ويسكن، ويتعكر حاله ويروق في بعض الأوقات.

في زمن يوسف بك عاش رجل "حَلَنجي" اسمه الشيخ أحمد صادومة – والشيخ هنا لقب غير ديني، فالمصريون قد يطلقون لقب شيخ على كل أحد: شيخ العربجية، وشيخ البغّالة، والنحاسين، والمناخلية، والحانوتية، حتى اللصوص لهم "شيخ منسر"!

قدم الشيخ صادومة من سمنود إلى القاهرة ليلتقط الحَبّ، ويغشى منازل المغفلين، وكان مسنًّا ذا هيئة وهيبة – كما يقول الجبرتي في تاريخه – فتحيّل وتفنن، حتى صار له باعٌ طويل في التحايل، والسحر، وتحريك الحجارة، ورمي الودع، ومخاطبة الجن، والخط في الرمل، فحقق بذلك شهرة عظيمة في القاهرة بين نساء "الهاي كلاس" من العاطلات الفارغات إلا من النميمة، والمكايد، والرجال الذين لا يؤمن جانبهم، خصوصًا إذا كانت إحداهن تخشى بغض زوجها لها.

وجاء ذكر صادومة في مجلس إحدى محظيات يوسف بك كانت تخشى أن يفركها الأمير، فطلبت الشيخ ذا الكرامات، ووعدته أن تغمره بالفلوس، والذهب، والجوز واللوز؛ إذا هو وصف لها وصفة، أو عمل لها حرزًا "تكلبش" به على حبيب القلب الذي حظيت عنده، فتبقى تملأ عليه حياته، ولا تنافسها في قلبه "محظية" أخرى.

ولأن الرجل صياد خبير، والمرأة جميلة "وهبلة" فقد وعدها خيرًا، وأكد أن لديه وصفة سحرية عجيبة تستطيع بها أن تحاصر "البيك" فلا يرى غيرها امرأة، "وما تخافيش يا مدام.. بس ارمي بياضك" وفعلًا عمل صادومة الوصفة، وهبر هبرة محترمة، فاطمأن بال المحروسة، وأيقنت تمامًا تحقق المراد من رب العباد، وعلمت أن طيرها لن يلوف على غيرها.

واتفق ذات ليلة أن اختلى يوسف بك الكبير بالمرأة العبيطة، فإذا به يرى على موضع العفة منها نقوشًا وطلاسم وتعاويذ.. فجن جنونه، وأمسك بالمرأة ليكسر رقبتها

*، وبعد رجاء، وسين وجيم، ووسط الشرر المتطاير من عينيه، والغضب الذي يجتاحه، قالت إنه الشيخ أحمد.. الذي أقنعها أن هذا سيحببها إلى زوجها..

ثم توسلت إليه ألا يحاول أن يضر الشيخ "المبروك"، أو يلحق به أذىً؛ لئلا يسلط عليه أسراب الشياطين والعفاريت التي يعوذ بها، فزاده ذلك غضبا على غضب، وأرسل فرقة انكشارية إلى بيت صادومة لتفتيشه، وتحريز ما فيه..

وأخرج العسسُ أدوات قبيحة وماجنة مثل تلك التي تباع في فترينات مدن العالم المتحضر ... وأتوا بالدجال مسحوبًا على وجهه إلى قَدَره المحتوم..

ويتحداه الأمير أن يجمع عليه عفاريت الأرض – إن استطاع – لينقذ نفسه من المصير الذي ينتظره، والقتل أفانين عند من يتساهلون في أرواح البشر، ثم تسلى الأمير على صادومة فمزقه وألقاه في بحر النيل ... ووراءه المرأة المتخلفة التي استباحت أن تتعرى لأقصى درجة، من أجل وهمٍ وخرافة.

ألا تصدقون أن مثل هذا، وأكثر منه يقع الآن؟

إنه والله موجود، وكثير، وفي أوساط لا يتوقع العقلاء أن ينتشر بينها ... من السيدات الثريات فارغات العقل، مليئات اليد، البعيدات عن الدين والتوكل على الله! واللي يعيش ياما يشوف.

---

* كسر الرقبة هنا مصطلح حقيقي لا مجازي، وكانوا آنئذ يستخدمون هذه الطريقة في القتل

## مولد سيدي فالنتين

### تاريخكم يسرق أيها المسلمون!

بنبرة جريئة قالت: وفيها إيه لما نحتفل بعيد الحب؟ هو الحب عيب واللا حرام؟

ولم أرد، فقد كان الموقف محيرًا..

ماذا تقصد بالحب؟

وما الحلال عندها وما الحرام؟ وهل هي فعلا تفكر فيهما؟ ما عيد الحب؟

ومن أين لها كل هذه الجرأة، وهذا الصلف، وهذا الغباء؟

وبدأت خواطري تنساب، وأنا بين الاندهاش والتحير، والغيظ:

لم يعد الغراب يحاكي الطاووس في مجرد المشية، بل تمادى في محاولة التقليد إلى ما هو أبعد، فهناك من أقنعه أن يجتهد في تغيير شكل منقاره، وإجراء عملية تجميل لساقيه، وزرع ريش جديد بدل ريشه الأسود، وتركيب زمّارة في حلقه لتغيير نغماته وطبقات صوته..

وبعد العملية (زنّوا) على أذنيه بإلحاح: شُفْتَ! لست من فصيلة الغربان يا غوغو؛ أنت من الطواويس أو الحساسين أو الشحارير.. وصوتك أجمل من صوت آبائك الغربان المساكين البائسين.

ويصدق الغراب المسكين أنه صار عندليبًا؛ لأنهم غيروا له ريشه، ناسيا أن تكوينه لا يتحدد بالقشرة الخارجية، إنما هي الجينات، بل الشفرة المسجلة في الجينات، التي تعطيه هويته، وتمنحه خصائصه، ليبقى غرابا وابن غراب، مهما تنكّر لأصله، ومهما غيّر من لون جلده، ومهما تشبه بغيره.

والغراب هنا هو أمتنا العظيمة التي تستورد الريش، وأجهزة تغيير شكل المناقير، وتحاول أن تغني غناءً أوبراليًّا يشبه نواح العجائز في المآتم، وتظن أنها – بذلك – ستصير متحضرة – ماديًّا على الأقل – تنافس الخواجات، وتسبقهم، وتتفوق عليهم، فما دمنا اشترينا الشوكولاته، والسجائر الأجنبية، والشامبوهات، والبامبرز، وجهاز

الفيديو، وما دمنا نرطن بالإنجليزية الركيكة، ونحب المحروسة مادونا والأسبايس جيرلز وبريتني سبيرز، وما دمنا نشتري لأبنائنا دميً على شكل باربي وميني ماوس وبوكاهونتاس فنحن – بشهادة أنكل سامّ – نستحق دخول القرن الحادي والعشرين، ونحن محصنون عقليا، وإبداعيا، وحضاريًّا، ولا نحتاج لوصاية الدين، ولا آراء المتزفتين (المتزمتين)!

ظاهرة واضحة منذ أغروا شبابنا أوائل هذا القرن الغارب برقصات الفالس والشارلستون والكاريوكا، وبزجاجات المياه الغازية، مرورًا بانتفاضة محلات التيك أواي (الوجبات السريعة) التي تحاول – بأدائها وتصميمها وعروضها – تغيير شكل المجتمعات، وصولًا إلى آخر اسطوانات الليزر المعلبة بأفلام العنف وموسيقى الهيفي ميتال.

ما يفزعني هنا هو أن الموضوع يخرج – في كثير من الأحيان – لأبعد من مجرد تغيير لون ريش الغراب، إلى محاولات دؤوبٍ لاقتحام شفرته الوراثية، والعبث بتركيبته العقيدية والخلقية، ومصالحه في الحاضر، ومصالح أجياله في المستقبل، ومصلحة المجتمع في النتيجة النهائية أما الله رب العالمين.

إنهم يحاولون وضع كروموسومات عقيدية وفكرية وأخلاقية، عن طريق زرع عقائد وأيديولوجيات، ليس عن طريق العنف الثوري (والثوري هنا ليس نسبة إلى الثيران فهي بريئة من مثل هذا العنف)، لكن عن طريق التطبيع الهادئ الذي يؤدي إلى التطويع (فالتنطيع) فالخيانة وبيع الأوطان؛ ببلاش وعليها بوسة.

إن زرع عيد (الريس فالنتين) ليس مجرد طقس فولكلوري أوروبي، ولا عادة بريئة؛ لأنه يتسلل إلى الكروموسومات والجينات؛ ليضرب على وترين، وتر إفساد العقيدة، ووتر إذكاء نيران الشهوة، وهذا في غاية الخطورة والعنف.

فأما وتر العقيدة فلأن طيب الذكر فالنتين أفندي يحمل رسميًّا لقب Saint أي قديس، الذي يشبه في الإسلام – إلى حدٍّ ما – لقب الولي الصالح ذي الكرامات والبركات، وما يحمله ذلك من إيحاءات وظلال عقيدية.

وسيرة فالنتين في خدمة النصرانية مدونة في المصادر التي تؤرخ للمقاومة النصرانية للجبروت الوثني الروماني – سواء كان هو القديس فالنتين الطلياني، أو سميّه فالنتين الروماني – وكل منهما كان يخدم عقيدته، ويحمي أبناء ملّته، ودفع – مقابل ذلك – رقبته على يد إمبراطور سفاح، سواءً كان دقلديانوس أو كلوديوس.

وشرٌّ من هذا التفسير، التفسير الآخر الذي يرى أن يوم 14 فبراير هو عيد جونو Juno كبير آلهة وإلهات الرومان، والتي اعتبروها – أيضا – إلهة للنساء والزواج، ومن اسمها اشتق اسم شهير يونية yune أو June!

وأما وتر الشهوة الذي يعزفون عليه، فإنه منبثق من سيرة السينت فالنتين في عمله مندوبا لكيوبيد، وسفيرًا للعشاق، ورمزًا للجمع بينهم، وصار من التقليد الأوروبي العلماني في عيد سي فالنتين، الدعوة لتقارب القلوب – كل قلوب الرجال وكل قلوب النساء – حتى بين طلاب المدارس، والمراهقين، والرومانسيين والأبيقوريين الإباحيين..

والسوق يشهد بذلك، فهو متخم ببطاقات عيد الحب، المليئة بالعبارات الملتهبة، وكذا بالكيكات التي على شكل قلوب، أو شفاه مذمومة تتهيأ للتقبيل، ومحلات الورود نشيطة، والمطبوعات المحتوية على النوتات الموسيقية، وكتب الرسائل الغرامية، وأشعار الغزل، ليبدأ التسرب لهذا المواد من يد جون وجورج وكريس، إلى يد بخيت وجابر وخيشة، وليبدأ العدوان على الجينات، بل الكروموسومات في جسد الطائر..

ويتوالى مسلسل الاحتفاء بأعياد الميلاد، وأعياد الكريسماس، وبابا نويل، وبيع الصلبان في محلات الصاغة المسلمين الموحّدين، ثم التركيز على غسل المخ بمساحيق التبييض الفعالة من إنتاج B.B.C، و M.B.C، وأوربت و A.R.T ومن تمويل روبرت مردوخ، وتيد تيرنر، وبرلسكوني، ومندوبيهم، لتبييض وجه الرجل الأبيض ذي التاريخ الهباب، وتلطيخ وجه الإسلام، وتحويله إلى قرون من الزفت والسخام، ثم ذمّ وتقبيح عيدي الفطر والأضحى، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومحاولة إقناع الدنيا كلها بأن الإسلام دين إرهاب، في حين أن النصرانية الأصولية والصهيونية الدموية

متسامحان بريئان نقيان، وأنهما دين فرح ومرح، وحب وفالنتين، وهابي كريسماس، وفيهما النَّجاة والتحضر والخلاص، ورضي الله تعالى والجِنّةَ والناس.

الغريب أن من الغربان الآلية المبرمجة – رغم أصولية الغرابية – من يضطلع بدوري التبشير والتنصير في وقت واحد:

التبشير بالخلاص للبشرية والحضارة – على يد مهندسي الهندسة الوراثية الأصولية – بنقلنا إلى آفاق العولمة (أعني الأمركة، والأوربة، والصهينة)، والتنفير من الجينات الأصلية التي أمدت آباءنا بالحياة والحيوية والفاعلية الحضارية..

لا أريد التباكي على الحال، فالأهم المستقبل والمآل، وأؤكد أن القضية ليست قضية الوجبات السريعة (بأسمائها الكثيرة)، ولا الثياب الأوروبية، والتسريحات الشاذة التي تنتشر في صمت وسلاسة، ولا تصاميم المنازل، ونوعيات الأثاث، وقوائم الأطعمة والحلويات، ولا حتى مولد سيدي فالنتين، ولا سيدي باتريك (بطريق)، ولا عيد الشكر والهيلويين؛ بل القضية الخطرة والمفزعة، والتي ينبغي أن تشغل كل داعية وكل مثقف وكل غيور وكل وطني وكل مسؤول، هي *سرقة هويتنا وتاريخنا وعوائدنا، وتحويلنا إلى كائنات غير طبيعية، عديمة الأصل، مقطوعة الجذور، ذائبة الملامح.*

مع العلم أننا سنبقى – شئنا أم أبينا – في نظر الخواجات – والواقع خير شاهد – سنبقى ملونين أو زنوجا، متخلفين فقراء، وكائنات من الدرجة الثالثة، لم نكسب إلا الانسلاخ، والتنكر للدين والتاريخ والأجداد، مقابل أن نلبس الجينز وأن نذوق الشوكولاته، ونجلس ببلاهة أمام القنوات التي تجعل عقولنا أكثر بياضا.

وإن المسلمين الأوائل – رضي الله عنهم – كانوا أكبر من الانبهار والانبطاح أمام الحضارة المادية للفرس والروم، بل كان ما في قلوبهم أثمن من طنافس القائد رستم، وزرابيّه المبثوثة، وسيوفه المحلاة بالجوهر، وخدمه، وحشمه، ووزرائه، وبطيخه، ومحاولته التأثير على ربعي ابن عامر – رضي الله عنه – الذي كلمه بمنتهى العزة والاستعلاء والثقة بالله تعالى وبالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، فكانت النتائج أن نصرهم الله الكريم باستعلائهم، في حين صرنا نحن: من أضعف الأمم، وأفقر الأمم، وأجهل الأمم، وأذلّ الأمم.. فهل من مدكر؟!

## نزار قباني

### دواوينه مجلة (بلاي بوي) شعرية (كتبت قبل وفاته بستة أشهر)

لست متنبئا، ولا أقرأ البخت، ولا أدعي علم الغيب، لكني أظن – وبعض الظن يقين – أننا سنحتفل به احتفالًا ضخما، ونلطم، وننصب السرادقات، ويزعم بعضنا أن الحياة بعده مستحيلة، فقد عوّدتنا أمتنا العظيمة أن تهتم بالعظماء، وأن تكرمهم – بعد عمر طويل – وتخرج بالكعك و"الشُّريك" إلى مقابرهم في الخميس والأربعين والسنوية، وتشيد بمآثرهم، وتعطي ورثتهم شهادات تقديرية، وربما نصبت لهم الأصنام – أقصد التماثيل – وأقامت لهم الأضرحة، وأطلقت أسماءهم على دور السينما، والشوارع السياحية، والمزارات الثقافية، ودور المزادات الفكرية.

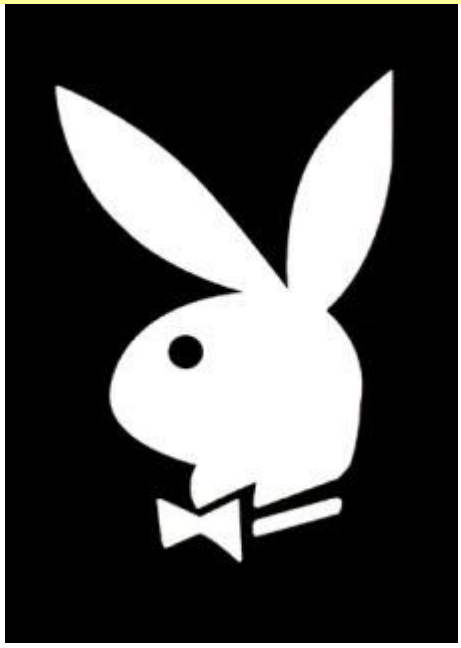

ولأنه من ذوي السر "الباتع" والبركات التنويرية، والنفحات الحضارية، فإن عمّي الكبير نزار قباني سيحظى بلطمٍ كثير من المناحات الثقافية * التي يعقدها في الصحف أقوامٌ حرباويون، انتقلوا بمهارة عجيبة من اللون الأحمر الفاقع، إلى الأزرق المخطط، إلى البمبي المسخسخ، الذي هو شعار طائفة ستحمل منار التنوير في السنين الخمسين القادمة، إذا صدق – لا قدر الله – حدسي.

ومرة ثانية أعود للاعتراف بواحدٍ من أسراري، فلقد استفدت منه في مقتبل عمري كثيرًا، كنت أحب شعره، وأخبئ دواوينه، حتى لا يضبطني أبي – رحمه الله تعالى، الذي لا يقرأ ولا يكتب – متلبسا بقراءة كلماتٍ تحرض على "الصياعة" والميوعة والانفلات.

كما أقرّ وأعترف أن له وطنيات مذهلة، وقصائد في الطغاة مشرفة، لا ينكر ذلك إلا جاهل جاحد متعصب!

وأنني حفظت – أو كدت – أعماله الكاملة التي صدرت حتى منتصف الثمانينيات.

وأقر وأعترف بما هو أخطر – لأنني مأمور شرعًا بألا أكتم الشهادة – وهو أنني أعتقد حتى الآن أن الرجل من أشعر من ظهر في النصف الأخير من القرن العشرين؛ إن لم يكن أشعرهم، فهو على رأس قلة من الشعراء الذين اخترعوا لأنفسهم قاموسًا للمفردات والصور والخيالات – التي أزعم أنه لم يسبق إليها – كتعبيراته الخنثوية عن وجع التفتا، والقميص الكسول، وشهقة الدانتيل، ووشوشة العطور، وشَبَق الزنانير، وشرايين الشفق، وأراجيح الفل، وأضلاع الكمنجة.

وابتدع غزليات هي غاية في الجمال والرقة والعذوبة، كما في قصائده: عدّي على أصابع اليدين، إذا مر يوم ولم أتذكر، لا تسألوني ما اسمه حبيبي، وغيرها.

وهو الذي نقل شعر الغزل تاريخيًّا من مرحلة (تقول وقد مال الغبيط بنا معًا) الجاهلية، ومرحلة (فكان مجنّي دون من كنت أتقي) من عهد: ابن أبي ربيعة، إلى مرحلة حقول الورد، وموسيقى قوس قزح، ورائحة الشهوة، ولون العشق، وهو أيضًا الذي نجح إلى حدٍ كبير في تحقيق هدفه الذي رسمه لنفسه منذ ديوانه الأول:

وأصير قاموسًا لطلاب الهوى  وأصير فوق شفاههم ألفًا وباء

حتى أصبح مجلة بلاي بوي متحركة، أو شريط فيديو إباحيًّا يسير على الأرض، فهو ينقل ما في غرف بيع الجسد شعرًا على الورق، ويصور ما يدور في المواخير، ومخادع المتعة الحرام، بعبارات رشيقة، وتصاوير فاتنة، فشعره – في رأيي – كلحم الخنزير، لذيذ لكنه حرام! رغم أنه – في مسيرته الشعرية التي اتصلت نصف قرن – كرر نفسه كثيرًا، و"لتّ وعَجَنَ" كثيرًا كثيرًا كثيرًا.

هذا هو صاحب المولد الإعلامي الضخم، سيدي العارف بال.. الإمام الأحظم نزار قباني، الرجل المباهي بنجاسة الذيل، المفاخر بأهرام الحلمات، المجاهر بفتوحاته الجنسية الخاطئة:

لم يبق نهدٌ أبيضٌ أو أسودٌ  إلا زرعتُ بأرضه راياتي
لم تبق زاويةٌ.. بجسم جميلةٍ  إلا ومرّت فوقها عرباتي
فصلّت من جلد النساء عباءةً  وبنيت أهرامًا من الحلمات
وكتبت شعرًا لا يطاول سحره  إلا كلامُ الله في التوراة

أتقن هذا الفن أكثر من غيره، وكان إذا فتح الله عليه فتكلم عن شيء آخر غير القدود والنهود، لم ير في تاريخ الإسلام والعروبة ما يسر، فأخذ يكيل للعرب السباب، ويلطخ التاريخ بالهباب، ويعلن وفاتهم بالسكتة الحضارية، لأنهم لم يفتحوا أبوابهم للنساء "على البحري" لم يفتح الرجل منهم بابه لزوجته أو ابنته كل ليلة لتخرج بعد العشاء، ويدعو لها من كل قلبه: روحي الله يوفقك **Have a Good Time**.

إنه حضرة إمام المستبيحين الأعظم نزار القباني، الرجل النرجسي، الذي يعشق نفسه من الرأس إلى الأخمص، معتقدًا أن كل ما فيه فذّ – حتى الدعارة – فهو وحده الرجل، وهو الشاعر، وهو الوطني، والآخرون "ولا حاجة":

** هوالشاعر الوحيد الذي ستبكيه الحانات والخمارات،والبغايا والصبايا والمراهقات:

إني أضأت، وكم خلقٍ أتوا ومضوا  كأنهم في حساب الأرض ما خلقوا
غدًا ستحتشد الدنيا لتقرأني  وتحت شعري يدور الورد والعَرَقُ!

** وهو المفكر الفلتة والآخرون " كخة ".

ونتّفت في الجو ريشي صعودًا  ومن شرف الفكر أن يصعدا

** وهو القنوع الذي لا يلهث وراء المجد كثيرًا، فأعظم ما يرضي غروره:

كفاني من المجد تسبيحُ ثغرٍ جميلٍ بحمدي

** وهو الساحر الذي يستطيع – وحده – أن يجعل المرأة امرأة، فإذا لم يقل لها كوني، لم تكن:

اتركيني أبنيك شعرًا وصدرًا  أنت لولاي يا ضعيفة طينُ

** هو " سبع البرمبة "، ومقطّع قلوب العذارى، ومعبود النساء:

هو الجنس أحمل في جوهري  هيولاه من شاطئ المبتدا
بتركيب جسمي جوعٌ يئن  لآخر.. جوعٌ يمد اليدا

** وهو الذي كاد أن يجعل الدعارة بابًا من أبواب الهدى، والاستقامة، ومعرفة الله تعالى:

متى تدركين أنك أنثى  عند نهديك يؤمن الإلحادُ؟!

** هو الذي طالب بتدمير كل فضيلة، وجعل العفة ضربًا من الجنون:

مجنونة من تحجب النهدين أو هي تحتمي

مجنونة من مرّ عهدُ شبابها لم تُلثمِ

** وهو الذي رفع شعار أنه – أمام الجنس – ينبغي أن تلغى الأديان:

لا يعرف الطوفانُ في جرفه ما حلل الله وما حرمَه

** هو ليس نرجسيًّا فقط، بل هو مريض بمرض شاذ نادر، هو عِشقُ الثياب النسائية: Fetishism فقد سردها قطعة قطعة، وعراها قطعة قطعة، وعشقها قطعة قطعة، وتأستذَ في الحديث عن القميص المغتلم، والوشاح المخمور، ورافعة النهد الزاهية، والرداء المسعور، والفستان المذعور، والأزرار المفكوكة، والجورب المشمور، والوشاح الأحمر؛ فالمسكين "يحوص" بين النرجسية والفيتيشية: بين حب الذات لدرجة العمى، واشتهاء الثياب والقطع الداخلية، يستعرض عليها فحولته وعنتريته المهولة.

** وهو – بجانب هذا – شيزوفريني مزدوج، يتقمص جيدًا دور المرأة، فيلبس ثيابها، ويتكحل بكحلها، ويتحلى بأساورها، ويرش على وجهه من عطورها، ويتغنج كما تتغنج، ويبيع نفسه – هذا كلامه – كما تبيعه أية فتاة ليل، ويجد لذلك فلسفة:

(لأن هذا الشرق غبي وجاهل ومعقد، يضطر رجل مثلي أن يلبس ثياب امرأة، ويستعير كحلها وأساورها، ليكتب عنها ... من مفارقات القدر أن أصرخ أنا بلسان النساء، ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية).

ونتيجة هذا التقمص نراه أعظم محامٍ شرقي يتكلم باسم المرأة في حالاتها الساقطة كلها:

= يتكلم عنها وهي شاذة منحرفة جنسيًا مع صديقتها، فيهتف:

| | |
|---|---|
| مطرٌ مطرٌ وصديقتها | معها ولتشرين نواحُ |
| والبابُ تئن مفاصلُهُ | ويعربد فيه المفتاحُ |
| سرّ بينهما يعرفهُ | اثنان أنا والمصباحُ |
| أحرامٌ أختاه إذا ما | لَثَمَ التفاحَ التفاحُ؟ |
| أتراني كُوّنتُ امرأةً | كي تمضغ نهدي الأشباحُ؟ |

= يتكلم عنها بغيًّا تبيع لحمها، ويفلسف ذلك ويسوغه.. وربما قدم لنا القواد وهو يعرض اللحم الحرام:

هذه جاءت حديثًا سيدي ناهدٌ ما زال في طور الطفولة
أو إذا شئت فرافق هذه إنها أشهى من الخمر الأصيلة

= ويبكي في آخر قصيدة "البغيّ" على حال الشرق المجرم "بلاد المسلمين" الذي يحاسب البغي ويترك الرجل الزاني، فهو طبعًا يريدهما ألا يحاسبا جميعًا، والبنت زي الولدد!

تُسأل الأنثى إذا تزني وكم مجرمٍ دامي الزنا لا يسألُ
وسريرٌ واحدٌ ضمهما تسقط البنت ويُحمى الرجلُ

= ويتكلم عنها صبيةً مراهقة جريئة، تستفتي أمها الإباحية في قضايا الجنس:

يغصبُ القبلةَ اغتصابًا وأرضى وجميلٌ أن يُؤخذ الثغرُ عنوة
أنت لن تنكري علي احتراقي كلنا في مجامر النار نسوة

وهناك قضية قانونية عويصة سقط فيها "أبو النُزر" وهي ليست وشاية مني للبوليس عمومًا، فأنا شديد الكره للنمامين والوشاة، لكنها تهمة تعاقبه عليها – وحدها – حتى الدول التي أباحت الشذوذ ونكاح المحارم ... أعني قضية اغتصاب القاصرات..
وهي قضية عظيمة أفتى فيها بعض القانونيين بمعاملة المغتصب معاملة قاطع الطرق، أو على الأقل بالحكم الظريف الذي طولب به في بعض الدول، كالخصاء وقطع المذاكير! ففي قصائد كثيرة يقر "بعضمة لسانه" أنه غرر بقاصرات، بعضهن لا يزلن "يرضعن الببرونة":

بفيها – بعدُ – اخضلالُ الحليب

ففي حديثه عن شتائه، يستمد القوة من طفلة وقادةٍ نارُها صيفية:

جهنمي الصغيرة لا تخافي فهل يطفي جهنم مستطيعُ؟
فلا تخشي الشتاء ولا قواه ففي شفتيك يحترق الصقيع

= ويزعم أنه يستلهم الصبية الغريرة، ويمتاح من بحر فتنتها شعره:

أحبك تعتزين في خمس عشرة ونهدك في خير وخصرك معتلّ

وصدرك مملوءٌ بألف هديةٍ وثغرك دفاقُ الينابيع مبتل

= وعند أحد الجدران يختلي نزار ببنت عشر سنين، فيخدعها "بكلمتين حلوين" ثم يؤاكلها طعامًا حرامًا:

طعامنا اللثمُ فلو نُهينا عنه إذن مِتنا بغير لثمِ

نهارك أسود يا نزار: بنت عشر سنين، وبنت خمس عشرة، وأخرى لا تزال ترضع من الببرونة؟!

مرة واحدة صحا ضميره مع إحدى الصغيرات، وكشف لها عن قناعه الصديدي فحين تكشفت له الصغيرة "الهبلة" نصحها أن تتغطى، وألا تأمن على نفسها أبدا من رجل، وأنه:

..... شارٍ بأسواق الهوى بياعِ

قالت: فما ماضيك؟ قلت: تفرجي جثثٌ وأمراضٌ وبئر أفاعِ

عودي لأمك.. ما أنا بحمامة فغريزة الجزارِ تحت قناعي

= ولا يكتفي الإمام الأعظم بالوحل الجنسي، ونضال المواخير، فقد يعنّ له أحيانًا أن يفتي وينظر ويجتهد. ومن آرائه الابتكارية التي يشارك فيها (بتوع أفيون الشعوب):

"العري أكثر حشمة من التستر"!

= ويذهب إلى أن أعظم خطر ابتليت به أمة لا إله إلا الله هو الزواج، وأن الحل للقضاء على هذا الخطر الداهم هو فتح الأبواب "ع البحري، ولا جواز ولا وجع دماغ": (لو كنت حاكمًا لألغيت مؤسسة الزواج، وختمت أبوابها بالشمع الأحمر!)

= وليته اكتفى بهذا "العكّ القباني" لكنه تمادى وتطاول كثيرًا كثيرًا على الله تعالى، وعلى مقامات النبوة.. فالله – تعالى وعز وجل – يموت في شعر نزار:

اشتقت إليك.. فعلمني ألا أشتاق

علمني كيف أقص جذور هواك من الأعماق

علمني كيف تموت الدمعة في الأحداق

علمني كيف يموت اللهُ وتنتحر الأشواق

= والله تعالى وعز وجل يتعب ويسأم ويبالغ ويفكر؟! في شعر جريء وقحٍ له:

من أين يا ربِّ عصرت الجنى وكيف فكرت بهذا الفم؟
وكيف بالغتَ بتدويره؟ وكيف وزعت نقاطَ الدم؟
وكيف بالتوليب سَوَّرتهُ؟ بالورد بالعنّاب بالعَنْدَم؟
وكيف ركزتَ إلى جنبه غمّازةّ تهزأُ بالأنجم؟
كم سنةً ضيعت في صنعه قل لي: ألم تتعب؟ ألم تسأمِ

= وهو – كأجساد عشيقاته – متمرد على الله تعالى:

لا تستبدي برأيك فوق فراش الهوى لأني من الله لا أتلقى الأوامر

= الله عنده يُذْعَرُ – سبحانه وتعالى – ويفر ّ:

وطن بدون نوافذ/ هربت شوارعُهُ/ مآذنهُ/ كنائسه/ وفرّ الله مذعورًا/ وفرّ جميع الأنبياء!

= وفي شهادته الخاصة التي تخالف في ظاهرها منطوق كلمة التوحيد " أشهد أن لا امرأةً إلا أنت " يقول أبو النزر:

ماذا سيخسر ربي/ وقد رسم الشمس تفاحةً/ وأجرى المياه وأرسى الجبالا/
إذا هو غيّر تكويننا/ فأصبح عشقي أقل اعتدالًا/ وأصبحت أنت أقلّ جمالًا؟!

ولو رحت أتتبع الأعمال كلها، والزوايا كلها لاحتجت لصفحات كثيرة.. وإنما هي نفثة عجلى..

لكن تذكر – قارئي العزيز – أن كثيرين انتظروا جنازته الكريمة، ليشبعوا لطمًا وعويلًا وتأبينًا لفقيد الإسلام والعروبة والإنسانية والشرق الأوسط والكونغو وجزر الكناري!

وارتقب معي: كيف ستكون المناحات واللطم بالأقلام وتسويد الصفحات "السقافية" بالحبر الأسود الحزين بمناسبة وبغير مناسبة..

اللهم ارحمنا من الانفتاح النزاري، ومن جماعة المثلث الوردي يا رب العالمين، اللهم آمين.

* كتبت قبل وفاته بنحو ستة أشهر، وقامت السرادقات، والمناحات الثقافية.. ومنعت هذه المقالة في الجرائد الثلاث؛ لأن الذي يكتب عن نزار لا بد أن يمدح ويعظم، وإلا (فصحافتنا حرة)!

## هاو تو نو ذ دفرنس؟!

هي امرأة – كما يقول المصريون – فافي، دلوعة، تربت وسط نخبة أرستقراطية، يخرج كلامها البطيء، الذي تضغط على حروفه، من خلال تصنع واضح، ولازمات متكررة.

وتأبى – بحكم كونها قضت معظم حياتها بين ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وغيرها من بلاد السكسون والوندال والغال – أن تعيش طريقة البسطاء، والناس العاديين الطبيعيين..

وحتى حين استقرت في البلاد العربية، ما كانت تخالط إلا فلانًا باشا السفير صاحب بابي، وسعادة الشيخ فلان صديق الأسرة، والبيه (الملحك السكافي بتاعنا) ورجل الأعمال شريك أخخخخويا..

وكانت بطبيعتها تُكثر من الكلام بالإنجليزية؛ على أساس أن لغتها العربية مش قد كده! فبدأت تتصل لتحاورني عن الإسلام، وتسأل في A B C الدين، لأنها – بالفعل – كانت مقطوعة الصلة بشريعة الله، وفضل الله، ونعمة الله..

لأكتشف ولأتعلم درسًا مهمًّا جدًّا في حياتي، وهو أن النخب العالية هذه، وأهل الطَّوْل والتصرف، لا يكادون يعرفون عن الإسلام شيئًا، لأن حواجز صفيقة وضعت بينهم وبينه، وشُوه في نفوسهم تشويهًا بليغًا، حتى صاروا محقين في النفرة منه، ومن المتدينين والدعاة؛ لما رُسم لهم عنه من صور شنيعة..

وحتى حين يتدينون – بعد عمر طويل، وبعد أن يكون أحدهم قد أقصي عن الأضواء بسبب خارج عن الإرادة – فإنهم يذهبون إلى شيخ من مشايخ الطرق المنحرفة، ليلقنهم وِردين، وطريقتين للوجد والذوبان في الحضرة – كما يزعمون – يعتقد بعدها هذا الكائن أنه صار في الطاعة ولا الصدّيق، وفي الفهم والاجتهاد ولا علي ابن أبي طالب، وفي ضمان الجنة ولا محمد صلى الله عليه وسلم..

وحسبي الله العظيم ونعم الوكيل في التلفزيون والسينما ووسائل الإعلام التي (لم تقصر) في تلطيخ وجه هذا الدين وتشويه سمعته.. وتنفير الصغير والكبير، والعدو والصديق، والهاجع والناجع، من التدين والسعي نحو الله تبارك وتعالى..

وفي أثناء إحدى محاوراتي الهاتفية معها حول المرأة ومنزلتها، قلت لها إن المرأة التي رغّب فيها الإسلام، وجعلها أنموذجًا للنساء، هي المحصنة الغافلة المؤمنة.. العفيفة الديّنة التي لا يخطر ببالها الخنا والفاحشة..

والتي لم تعرف في حياتها غير زوجها..

وبعفوية واندفاع غير متروٍّ قالت:

رجل واحد؟ أونلي ون مان؟ بَتْ هاو تُو نُو ذِ دِفْرنس؟

ووجدتني أيضًا أصرخ فيها – أيضًا – بعفوية واندفاع:

نهارك مطين بطين! هاو تو نو إ يه؟ يعني إيه؟

يعني لازم البنت تجرب ميت راجل حتى تذوق، وتصير خبيرة، وتعرف الفرق بين رجل ورجل، وفحل وفحل؟ خنازير إحنا؟

تلعثمت واستدركت قائلة: سوررري.. أنا فعلًا سمعت المعنى دا من واحدة بريطانية ساحْبتي (تقصد: صاحبتي)!..

وبدأت أحوقل وأسترجع، وأكلمها بغيظ، حتى أفهمتها أن قضية التجريب هذه هي التي تصيب الرجل والمرأة بجنون الخنا وبالسعار والانحراف.. وأن معها يستحيل – يستحيل فعلًا – أن ترضى امرأة بزوجها، أو يرضى رجل بامرأته، لأنها ببساطة جربت غيره، وعرفت من هو أورى منه زندًا، وأفحل فحولة.. ولأنه جرب غيرها ممن هن

أفحش وأفجر وأدنأ، ووجدهن أبذأ أداءً، وأبعد تجربة.. وأن هذا التجريب هو الذي نشر الشذوذ، وزنا المحارم، وأنواع الزيجات الغريبة العجيبة المنتشرة هنالك..

هذا هو السر الكبيييير الذي لا يتكلم عنه المتكلمون..

فالبنت المتفتحة على الدنيا، التي تحضها أمها على الخروج، والصياعة والمصادقة، و(الاستمتاع بالحياة) منذ تكون في الرابعة عشرة، والتي تساكن زملاءها طوال المرحلة الجامعية – وربما قبل ذلك بكثير – هذه البنت لا تبلغ العشرين من عمرها حتى تكون قد ذاقت، وشبعت، وبشمت، وعرفت الفروق جيدًا..

فهل سترضى برجل واحد ترتبط به مدى الحياة؟

والشاب الذي ساكنها بضعة أشهر: هل سيرضى بها حليلة دائمة، بعد أن نوّع، وذاق، وانتقى، وقارن، وهجر بدل البنت ثلاثمائة؟

لا والله الحق المبين.. لا والذي يعلم من خلق..

لذلك فإنك تجد أنواع الانحراف بعد الزواج وقبله أشكالًا وألوانًا.. وتجد الرجل بعد أن (عرف الفرق) لا يرضى بامرأة.. ولا بعشرين امرأة، بل ولا جنس النساء أحيانًا.. حتى إن أحد مواقع الإنترنت أجرى استبانة عن التجارب السابقة، وجعل لها حدًّا أقصى 500 امرأة.. فكتب أحدهم في الإجابة: + 500 امرأة!

وحدثني الشيخ محمد حسان أنه كان يحاضر عن الزنا وجرائره في أمريكا.. فقام شاب عربي الأصل، وهو يبكي مفزوعًا، ويقول.. والله ما كنت أعلم.. لقد فعلت ذلك أكثر من ألف مرة!

ثم أليس ذلك سببًا وجيهًا ليلجأ هو أو تلجأ هي إلى الشذوذ والانحراف عن الفطرة؟

أو ربما استكان آخر عمره إلى امرأة، بعد أن يكون قد تعب من (التخبيص)، وبعد أن يكون قد أنجب منها في الحرام نص دستة.. كما فعل الحشاش مارادونا الذي حملت ابنتاه ذيل ثوب زفاف أمهما في حفل زواجها!

رب العالمين يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير، وقد أمر المؤمنين بغض البصر، وإسباغ الثياب، وإعفاف الألسنة؛ لتظل الأنثى مصونة مكرمة.. عزيزة مرضية؛ لأن في

هـذا كرامتهـا، وشـرفها، وبقاءهـا مرغوبـة مطلوبـة؛ فكـل مبـذول رخـيص، وكـل ممنـوع مرغوب.. *هذه هي سنة الحياة، وهذا هو قانون العرض والطلب*..

ولو كان في (معرفة الفروق) خير، لكان – قطعًا – من ديننا، الذي ما ترك خيرًا إلا دلنا عليه، ومع هذا فإن القرآن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول../ وقرن في بيوتكن.. ولا تبرجن../ يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن...)

ولقد جربت البشرية مرات هذه المشاعية الغبية، مع الأمم الإباحية المنقرضة، من اليونان والرومان والمجوس، ومع الشيوعية الهالكة، والليبرالية الغربية التي هدمت حتى سور المحارم من النساء.. فكيف حال الأسرة عندهم؟

ثم إن الكمال المطلق يكون في الجنة.. فماذا عن نسائها؟

ألم يقل الله تعالى إنهن (حور مقصورات في الخيام) فلو كانت (معرفة الفروق) من النعيم لكانت في الآخرة؟ أو لست محقًّا؟

إن أحلى ما يكون الزواج أن يكون الرجل للمرأة وهي له.. كلاهما بكر الآخر.. كلاهما يرى لأول مرة.. ويسمع لأول مرة.. ويجد لأول مرة.. وهذا الذي يعطي الزواج الديمومة، ويوثق الارتباط، ويثمّر المشاعر..

على فكرة.. بلغني أن الأخت الآن صارت – بحمد الله – داعية..

## ورودٌ برائحة الزفت!

سامحني قارئي الكريم؛ فأنا (مفقوع) نتيجة الوجع والإحباط!

أنا محبط حين أرى البشر يصنعون ورودًا برائحة مياه المجاري والمزابل، ويرون ذلك حضارة..

وحين يستحدثون عطورا برائحة جثث الموتى، ويرون ذلك تحديثًا وتنويرًا..

وحين أشم من فم امرأة – من بُعد مائة متر رائحة (الجوزة، والمعسل)، ثم يقال إن ذلك تحرير لها وتطوير، وعتق من الهيمنة الذكورية، والبطريركية التاريخية..

عند أحد الدواوير رأيتها في السيارة، مع ثلاثٍ غيرها، حين التفتّ بشكل عفوي، فأذهلني الاندهاش، وأربكتني الهيئة:

صبية خليجية حول الثامنة عشرة من عمرها، قد أسدلت خصلات شعرها التي تبرزها باستفزاز من أعلى الرأس إلى الحاجبين، وأمسكت السيجارة بين أصابعها، ساحبة نفسًا عميقًا، نفثته بعد ذلك من نافذة السيارة بتلذذٍ ظاهر، وتحدٍّ للمارة، تحد لكل من في الدوار المزدحم، كأنها تقول: أنا حرة، أنا سيدة نفسي، أنا أفعل ما أريد، أنا فتاة متطورة، عصرية، أكسر قيود المجتمع المحافظ الذي لم يألف مرأى شابة (تُسَوْجر)!

ارتعد جسدي – عجبًا واندهاشًا – فلأول مرة – منذ سنين طويلة قضيتها في هذه الأرض الطيبة – أشهد فتاة خليجية تفعل ذلك علنًا..

ذلك قد يحصل سرًّا.. نعم.. في الحجر المغلقة.. نعم.. تفعله خواجاية على حل شعرها.. نعم.. تفعلة امرأة عربية ممن انزلقن إلى أكذوبة التحرر من زمن بعيد.. ربما!

لكن أن أرى صبية خليجية في مقتبل عمرها، تستفز من حولها في الشارع بهذا الشكل فإنه والله لأمرٌ مروع، في شعب يحتفي بالذوق العام، واحترام القيم، ويتحرز من المجاهرة بمثل هذه السلوكيات..

وأعاد هذا المشهد إلى ذكرياتي مناظر رأيتها لبعض المنقبات اللواتي شاركن في برامج إعلامية، وإحداهن (تطرقع) اللبانة، وتدير الميدالية في يدها بحركة ماجنة، وتصفق، وتصفّر، وترقص، وتبالغ في مرحها، وتتصرف تصرفات يستحيل أن تصدر عن منقبة، أو محجبة، أو سيدة تحترم نفسها حين نكون في محضر غرباء عنها.. فاستنتجت أنهن لسن منقبات (ولا نيلة) ولم يعرفن تغطية الوجوه من قبل؛ بل إنهن صاحبات قصدٍ، ويردن إرسال رسائل مهمتها تسميم الأجواء، وإفساد الفطر، وإدخال مناظر ومفاهيم (بنت حرام) وأيقنت كذلك أن تغطية إحداهن وجهها بالنقاب (لسبب كنت أجهله وقتها) لن يستر مطلقًا كونها لم تركع ركعة لله تعالى منذ سنين، ولا تعرف شيئًا عن الإسلام وآدابه وأحكامه، بل إنها جعلته غطاءً للتمويه والمخادعة، أكثر منه غطاءً يدل على الالتزام والعفة وحسن الخلق.

وفعلا صح حدسي واستنتاجي، ورأيتهن يدخلن الأستوديو بالجيبة المفتوحة، والصدر المكشوف، والشعر المصبوغ، واللبانة المنفوخة.. فإذا بدأ البرنامج لبسن ثيابا سودًا، وجلسن جلسة تفضح كونهن كومبارس، من المرتزقات من هذا الوجه القبيح!

كلمت بعضهم عن البنات ذوات السيجارة فقال: وإيه يعني، بنات وبيتدلعم، بكرة يكبرو ويفهمو.. فركبني هم وانزعاج..

وكلمت بعضهن عن البنات ذوات السيجارة فقلن لي في تعجب من سذاجتي: ياااااااااااه.. بس السيجارة؟ الشيشة الآن موضة بين الستات، والشواب، وهناك مقاهٍ مشتهرة يجلسن فيها، متلذذات بدق الأرجيلة وتبادل الأحاديث..

بل إن بعض ناس الحواضر العربية باتوا لا يستنكفون أن تدخن البنت في محضر أبيها وأخيها.. وفي الشارع والعمل!

وأنها بيدها تجهز الشيشة، وتعرف الفروق الدقيقة بين التنباك الحمّي والعجمي، وبين معسل ورق التفاح وورق الخوخ وشواشي الذرة..

وأن المجلات النسائية (التحريرية) ومواقع الإنترنت تتسابق في نشر التقارير واللقاءات مع مناضلات التشييش، ورائدات تعطير الأنفاس بالتنباك!

وإنا لله وإنا إليه راجعون!

ظل مشهد الفتاة (أم سيجارة) يطرق رأسي، فوضعت يدي على وجهي لعلي ألجم خيالي الذي خانني، وجمح بي – كعادته – ليريني: كيف سيكون حال المسلمات بعد عشرين أو ثلاثين سنة إذا صارت مثل هذه البنت أمًا.

وظننت – وبعض الظن إثم – أن التي (تشرب) الآن سيجارة ستدخن السجائر الملفوفة والمحشوة غدًا..

وأن التي تلبس الميدي اليوم ستلبس ابنتها بعد غد المايكرو..

وأن التي تعري نحرها لن تستنكف أن تجلس ابنتها على الشاطئ بالهيئة التي تعلمون..

وجمحت – كذلك – بي الفرضيات الغبية، وأنا أستعيذ بالله مما أجد وأحاذر.

** ماذا لو خرجت لنا – فعلا – ورودٌ تنفث رائحة السجائر والشيشة.. هل سيشمها أحد؟ وهل سيبقيها الزفت والقطران ورودًا؟!

وهل سنتحول إلى جُعلان وخنافس لا تسعدنا إلا رائحة الفضلات، ونفرّ من الروائح الجميلة التي حُببت إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

** وماذا لو رفرفت حولنا فراشة سوداء ذات منظر بشع.. هل ستهفو لمرآها نفس رقيقة؟! وهل سيتغزل في حسنها شاعر – إلا حداثي محدِث – وهل سيشفع لها أن اسمها فراشة؟

** وماذا لو برز للعصافير والحساسين أنياب كأنياب الأفاعي، وفكّ بارز مثل فك القرد.. هل سيقتنيها الناس، ويضعونها في بيوتهم في الحدائق والأقفاص؟!

** وماذا لو صارت المرأة التي تتعرى، وترقص، وتتمرد زوجًا وأمًّا ومربية.. هل ستكون هي المرجعية النهائية للقيم والفضائل، والعفة والشرف؟!

** وماذا لو رأينا كل بناتنا – لا قدر الله – على هيئة هذه الفتاة التي تزعم أنها – بالسيجارة – عصرية، متمدنة، حرة في أن تنفث دخانها في وجوه العابرين؟!

ألن يكون بطن الأرض للمحترمين خيرًا من ظهرها؟!

اللهم رحمتك بأمة محمد صلى الله عليه وسلم..

## وفتَّحت الأبواب، وقالت: هَيْتَ لكم أجمعين

كأن امرأة العزيز الجميلة المدللة الغناج، التي تجيد لعبة حبك الشِباك.. وصناعة الفخاخ لاصطياد الرجال، والإيقاع بهم في حبائلها.. كأنها امرأة من عصرنا.. من سيدات المجتمع المخملي اللواتي تتفنن السينما في عرض لحومهنَّ وآدميتهنَّ (ببلاش) لكل راغب في نظرة جائعة، أو رشفة من النظر الحرام.

امرأة أخذت أهبتها.. وتعطرت، وتمكيجت على (سنجة عشرة) وأرخت الستور.. ونشرت البخور.. وغلّقت الأبواب.. وجهزت الحجج عند دخول أي (عزول) فإن جرت الريح رُخاءً على ما تريد فبها وبئست.. وإلا فدموع التماسيح موجودة.. والاتهامات جاهزة.. وستلقي التهمة على (الفريسة) الجريئة المعتدية المغتصبة القاسية التي لا تحترم المرأة، ولا تعرف من حقوقها إلا عض اليد التي امتدت لها بالرحمة والرعاية والبر والإحسان!

لكن هناك فرقًا مهمًّا جدًّا بين المرأة العصرية وامرأة العزيز – التي تابت وأنابت، واعترفت – بعد حين – ببراءة الصديق يوسف عليه السلام، وهي أنها تمكيجت له وحده.. وتآمرت عليه وحده.. وطلبته وحده.. وأرادت أن (ترمي بلاها) عليه وحده..

أما المرأة العصرية فهي تتمكيج.. وتتعطر.. وتتعرى.. وتتكسر؛ لتوزع لحمها المكشوف على مائة ألف عين.. ورائحتها على مائة ألف أنف.. وتكسّرها وتخنثها على مائة ألف ألف ممن في قلبه مرض.

امرأة العزيز غلّقت الأبواب بابًا بعد بابٍ.. وأحكمت الأقفال قفلًا بعد قفلٍ.. وأرخت الستور سترًا بعد سترٍ.. أما المرأة العصرية ففتّحت الأبواب والشبابيك – وهي

في بيتها – ليراها الجيران، وجيران الجيران إلى أربعين جارًا.. لا تتوارى.. ولا تخجل.. ولا ترى في أذى الجيران بأسًا ولا عارًا.

فإن كانت خارج بيتها.. كان مناها أن ينظر كل من في الشارع إليها.. ويشم ريح لحمها.. ويسمع وقع كعبها العالي على الأرض.. كما يسمع صوت أنوثتها ترن في نفوس الذين ترمي بلاءها عليهم من عباد الله الغافلين.

أما إذا كانت على الشاشة.. فمناها أن يرى لحمها مائة ألف ألف.. بل ألف ألف ألف ألف.. لأن شياطين الإنس والجن أقنعوها أنها بذلك ستكون نجمة.. ومرغوبة، و لها اسم (في السوق).. ولها رصيد في شباك التذاكر!!

تحدث القرآن الكريم عن امرأة عزيز واحدة ضربها الله تعالى مثلًا.. ثم ابتلى الله تعالى البشرية في القرن الجديد بمائة مليون امرأة عزيز.. يرين في عريهنَّ حرية.. وتطورًا.. وحلًا للعقد.. وتعتقد إحداهنَّ أنها إذا نافست غيرها في حل عُرَى ثيابها والإكثار من فتحاتها، والزيادة في تقصيرها، كانت آنقَ في الهيئة، وآسَرَ للقلوب، وأبعد في الشهرة، وأجلب للزبائن!

واسألوا ممثلاتنا وراقصاتنا ومغنياتنا، وفتياتنا المنفتحات الفاتنات المفتونات.

واسألوا موظفات العلاقات العامة والسكرتيرات ومندوبات التسويق وفتيات الإعلان واستعراضيات الفيديو زفت..

اسألوا بعض (جميلاتنا) اللواتي يظهرن في الفراش بقمصان النوم.. بل أحيانا – لا حول ولا قوة إلا بالله – فإذا نوقشت إحداهن قالت إنها لا تتعرى، بل تمثل.. إنها لا ترى مَن أمامها رجلًا – بل بطيخة – أقصد أنها تندمج في دورها، فلا تتصور أن زوجها أو عشيقها الممثل هو الذي يحتضنها أو يقبلها أو..

منتهى الوقّاحة..

بل تقول إحداهنَّ في المحكمة ذات مرة: إنها لا ذنب لها.. بل الذنب ذنب صاحب الفضيلة المخرج، أو سيدنا الشيخ السيناريست؛ لأنهما طلبا ذلك.. والعقد ينص على طاعتهما.. والعقد شريعة المتعاقدين.. ولعلها مثابة مأجورة إذا هي وفت بشروط العقد، ولم تخِلّ بها!

منتهى النقاء، والصدق، والبراءة، والالتزام الشروط، والإخلاص في (الشغل)!

امرأة العزيز في آخر الأمر اتضحت لها الرؤيا، وبان لها الحق، ورجعت إلى الله تعالى، وقالت على ملأ من قومها: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) (يوسف: 53)..

أما صواحب يوسف في زماننا فعندهنَّ إصرار غريب جدًّا على ما هنَّ فيه.. وتسمع إحداهنَّ تقول بملء شدقيها:

ليه.. هو الفن حرام؟ مين قال إن الفن عيب؟ الرقص فن سام؟ الاختلاط يهذب الغريزة.. الواحدة لازم تظهر جمالها.. أنا نفسي اموت على المسرح، ياريت أموت وأنا بارقص؟!

وأما الشياطين الذين أغروا صواحب يوسف في زماننا فهم يقاتلون دون عريها وابتذالها وإهانة أنوثتها قتال المستميت.. بل يخططون ويتآمرون ويناضلون، فهي بالنسبة لهم موردٌ للمن والسلوى والملايين والأضواء: بتوع الأزياء، وبتوع السيما، وبتوع الإكسسوارات.. وجزارو اللحم الرِّخيص. المبذول على مذابح التهتك والاستباحة والجرأة على ثوابت الدين وقيمه!

زليخة تراجعت في لحظة توفيق وقالت: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، وبعض الموفقات ممن كن (زلائخ) الفن تراجعن وقلن: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ.. لكن أصحاب المصالح يتعاملون بطريقة (عض قلبي ولا تعض رغيفي) ويستقتلون دون باطلهم.

يا معشر الحرائر.. يا معشر الإناث.. يا ستات يا فضليات:

إن أسوا أنواع التجارة التجارة بالبشر، بالأجساد، باللحوم الحرام.. فلماذا تصير إحداكن فترينة متحركة لعرض اللحم والعرض؟!

الله يهديكنَّ.. بس

## يا ريت.. فين سي السيد ده؟

*مريم فخر الدين والقنبلة*

سنة 1995، ونحو الفضاءات العربية المحتلة، والمعرضة، على مدار الساعة للقصف الجوي الإعلامي، وجهت – من الخارج – اثنتان وعشرون قناة فضائية أجنبية، منها قناة إخبارية واحدة، وقناة تنصيرية، وعشرون قناة تتفنن في (الترفيه) والتَّفِيه وإضاعة الوقت، وعرض

أجساد البنات فائقات الجمال، والرقص الغنائي أو الغناء الراقص المسمى الفيديو كليب، والأفلام المخدِّرة التي تتسم بالتفاهة في كثير من الأحيان، فلا مضمون، ولا قيمة، ولا أدب، ولا أخلاق، إلا ما تعرضه السيدات صاحبات العصمة الممثلات من أجسادهنَّ وأخلاقهن (الرفيعة).

هذا غير القنوات المحلية، التي تستورد معظم موادها وأفكارها من القنوات سالفة الذكر، والتي تبلغ هي الأخرى عشرات، ناهيك عما تلتقط الأطباق، وما تأذن به الكوابل من قنوات بلغت عام 2000: 4500 قناة.. فقط!

هل تأكدت قارئي أن فضاءاتنا محتلة، وأن عقولنا صارت معرضة للنهب المنظم، والسرقة (عيني عينك)؟!

وفي واحدٍ من البرامج التافهة التي تستعرض الملابس النسائية وخفة دم الحاضرين والحاضرات، وبطولاتهم الفنية، وتاريخهم (الجهادي) الحافل، جلست خمس شمطاوات، (بل طاعنات نحو المائة) يتحدثن عما قدمنه للإنسانية المعذبة من فنهنَّ وإبداعهنَّ، ومن ضمنهنَّ الممثلة مريم فخر الدين، التي كانت – في وقت ما – من أجمل جميلات الشاشة، وآنقهنَّ، وأكثرهنَّ رومانسية.. ثم ظهرت على وجهها آيات الله وسننه، فتحول الجمال إلى خارطة من التضاريس العجيبة، التي تكشف عن حجم ابن آدم المستكبر في ملكوت الله تعالى؛ ما علينا.

وفي أثناء حديثهنَّ عن البطولات جاءت سيرة شخصية أمينة في ثلاثية نجيب محفوظ، زوجة سي السيد، الرجل الديك، بارم شنباته، الذي إذا دخل سكت الناطق، ووقف الجالس، وهبّ المضطجع.. أمينة المرأة المستكينة التي تتفنن في إرضاء زوجها، وتغسل رجليه، وتبذل جهدها في استمالته، والتحبب له.

وبشكل عفوي غير متوقع قالت مريم بنت فخر الدين:

طب والله أنا أتمنى أكون زي أمينة دي، وأتمنى يكون ليّه راجل زي سي السيد..

ووسط ذهول الجالسات، استطردت (إنجي) قائلة:

أنا مش ممكن حدّ يتهمني بالتخلف، أنا درست عند الراهبات (!) في المدارس الألمانية، وعشت حياتي، ومثلت، وسافرت، ولفّيت الدنيا كلها، وانشهرت، وكنت بطلة كبيرة..

طب وبعدين؟! أنا دلوقت في آخر عمري وحيدة، محتاجة دوا، ومحتاجة حدّ يصرف عليَّ، محتاجة راجل يقف جنبي، إيه اللي أنا استفدته دلوقت؟!

اندهشت كثيرًا حين سمعت ذلك، كما بدت الدهشة على وجوه (الليديز العجايز) اللواتي كن حول مريم بنت فخر الدين، وكل منهنَّ تستعرض إبداعاتها وعطاءها دون أن تتوقع أن تصفعها مريم هذه الصفعة على صفحة قفاها، ليصرخن جميعا: إخص عليك يا مريم، إيه اللي بتقوليه ده!!

فتعود لتؤكد: والله أنا باتكلم جد، أنا كان نفسي أكون زي أمينة، ليّ سي السيد يحميني في آخر عمري!

*وضحكتُ من قلبي كثيرًا، وأنا أهتف: الله أكبر..*

وتستمر مريم فخر الدين في الدفاع عن وجهة نظرها في أن المرأة في حاجة لرجل، تجد عنده فطرتها كامرأة، ويجد عندها فطرته كرجل، دون أن تتداخل الأدوار، فتأخذ هي مهمته في إدارة البيت (و التَّدَيُّك)، ويأخذ هو من مهمتها في النعومة والتأنث، لكن (الليديز) يغضبن من هذا التصريح، ويحاولن إثناء مريم فخر الدين عنه.

يهمني في هذا أن الاعتراف جاء عفويًّا، ودون إعداد مسبق، ودون توقع من الموجودات..

ويهمني أيضا أن هذا الاعتراف نفسه صدر عن شقية من ضائعات هوليود، انتحرت آخر عمرها، وحيدةً، مخدّرة، محطمة، بعد أن كانت أسطورة الجمال في السينما، وتمثالًا للإغواء والإباحة، اسمها مارلين مونرو، كانت هي الأخرى تقول إنها فقط تريد رجلًا، يحميها، ويشعرها بالأمومة والأنوثة.

وحتى في إطار النساء الحديديات، اعترفت مارجريت تاتشر بأنها ظلمت بيتها وأبناءها ظلما بينا، وانتقصت من حقوق زوجها عليها، وأن أحلى ساعاتها وأكثرها إمتاعا، هي...

التي تقضيها في: المطبخ!! تعد طعاما لأبنائها، أي تكون امرأة على النظام التقليدي، الذي تعيشه الفلاحات على الفطرة.

صعب – في زعمي – أن تصل امرأة إلى ما وصلت إليه مارلين مونرو – في عز مجدها – من المال، والشهرة، والجمال، والسيطرة التي ملكت بها قلب الرئيس الأمريكي (العكروت) جون كنيدي.

وصعب أن تصل امرأة إلى ما وصلت إليه المرأة (الديك) مارجريت تاتشر أو (الليدي تاتشر)، التي حاربت بشراسة دهاة الساسة الإنجليز، وتفوقت عليهم، وسرقت كرسي رئاسة الوزارة منهم.. ثم تقول كل منهن: أحتاج البيت والمطبخ والرجل.

وصعب أن يخرج اعتراف عفوي من خواجاية، ذات أصول ألمانية، كمريم فخر الدين، نشأت هذه النشأة، وعاشت هذه الحياة، ثم تقول في آخر المطاف: إنها تتمنى أن ترتبط برجل (مثل سي السيد).

كما أنه صعب أيضا أن تستسلم السيدات (الحديديات) اللواتي يرين الحجاب يتقدم، والثياب الطويلة تنتشر، كما يرين في ذلك ردة ورجعية وانحسارًا في مكاسبهن التحررية!

ولست أدري كيف ستبدو الدنيا حين ينجح الماسون في تأنيث الرجال، وترجيل النساء، وسنّ قوانين دولية ومحلية بالإكراه تجعل المرأة مساوية للرجل كلية، ثم تجعل الرجل يطالب بالمساواة الحقيقية بالمرأة في مرحلة لاحقة، ثم تجعل حركة الصراع بينهما على أشدها..

كيف سيكون شكل الدنيا؟ وكيف سيتعامل البشر آنذاك؟

لا أتمنى أن أرى..

وأصر على أن ألقى الله تعالى رجلًا على فطرتي، وفق سنن ربي..

وسحقا لعبدة سنن وقوانين الماسون.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه عبد السلام البسيوني

## من أعمال المؤلف:

**العقيدة:**

1. الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنة
2. كتاب المحجوبين عن رؤية رب العالمين
3. في ظل عرش الرحمن تبارك وتعالى
4. النعيم المعنوي في الآخرة

**دعوة وإعلام:**

5. مواجع داعية
6. كتاب الدعوة الجديد
7. الإعلام الإسلامي في مواجهة الغزو الإعلامي الغربي
8. التلفزيون: السم اللذيذ
9. مواصفات في مدرِّسة الشرعية
10. خطيب الجمعة

**فقه الواقع:**

11. في فقه الواقع: رسائل إلى الإسلاميين
12. لله يا زمري
13. الثورة والثورجية
14. إسلاميون ثوار
15. الحاج أستيكة

**الأسرة:**

16. ماذا يريدون من المرأة؟
17. تفكيك الأسرة: الخطر القادم
18. العنف الأسري: رؤية إسلامية
19. المسنون في منظور الإسلام
20. تجفيف منابع الأنوثة

21. الغيرة: خلق المسلم النبيل
22. العفة وأهل العفاف
23. نساء عديمات الأنوثة
24. حكايات الستات
25. وقال نسوة

فكر وثقافة:

26. العقلانية هداية أم غواية
27. وهل في الإسلام حرية للرأي
28. Freedom of Opinion
29. اليسار الإسلامي: خنجر في ظهر الإسلام
30. التعذيب: عار العصر (مجموعة ملفات)

دراسات إسلامية:

31. التبيان ... تحقيق
32. فقه الأذان والإقامة
33. ملفات ملغومة
34. وأدرك عبسلام الصباح
35. لله يا زمري/ مواجع داعية
36. في المراية
37. المقامات

تاريخ:

38. الأندلسي
39. قال الراوي
40. المسجد الأقصى الشريف
41. زفتى التي في خاطري
42. تاريخ المستعين بالله البسيوني

## سير وتراجم:

43. محمد صلى الله عليه وسلم في أعمال اثنين من المستشرقين
44. دعاة ومشاهير عرفتهم
45. مشايخ لكن ظرفاء
46. رجال نمرة واحد
47. رجال اختلف فيهم الرأي

## كتابات ساخرة:

48. رجل اسمه نرجس
49. علي وعلى قرائي
50. حقك وفوقه بوسة
51. ناس نمرة واحد
52. نساء عديمات الأنوثة
53. طمع إبليس في الجنة
54. رجال آخر مسخرة

## الشعر، والدراسات الأدبية:

55. ديوان صلاة قلب
56. ديوان: عذرًا يا سيد خلق الله
57. ديوان مراميات
58. الذئبة التائبة (ديوان شعر)
59. يا سادتي (ديوان شعر)
60. زهرة (ديوان شعر)
61. القرضاوي شاعرًا
62. أبو مازن: الصوت الساحر
63. الشعراء
64. الشواعر

## مسرحيات شعرية:

65. الأعظم (مسرحية شعرية)
66. القرضاوي شهيدًا (مسرحية شعرية)
67. الحراني (مسرحية شعرية)
68. الحرباء (مسرحية شعرية)
69. ليلى حلمي (مونودراما شعرية عامية)
70. أحمد يا سين (ملحمة شعرية عامية)
71. المسرحية الجديدة

## كتب مصورة:

72. التماثيل الشعبية الأوربية: رؤية مختلفة للإنسان
73. الرسول صلى الله عليه وسلم في الرسوم والمنحوتات الأوربية عبر التاريخ
74. التعذيب: عار الحضارة المعاصرة
75. الله تعالى في ثقافات الشعوب (باور بوينت)
76. فن الخط العربي: (باور بوينت)
77. الخطوط العربية والفنون المنبثقة عنها: (باور بوينت)

## كتب تعليمية:

78. أيها المهتدي أحبك في الله
79. الحج من الألف للياء
80. العقيدة
81. الأخلاق....
82. منهج الشرعية، للصف الأول الإعدادي: الدحيل الإعدادية

## تحت الإعداد:

83. يا دوحة رايتك بيضا
84. أيام المدينة الطيبة
85. المعجم القرآني الأكبر

86. القلب: دراسة شرعية
87. محمد صلى الله عليه وسلم: رؤية قرآنية
88. العقائد المصورة
89. الحياء
90. حبيب قلبي

## الفهرس


| | |
|---|---|
| مقدمة | 3 |
| أنا وافدة النساء إليك | 6 |
| يا قادر يا فاجر | 10 |
| اللي يبان مننا زكا عننا | 14 |
| أجوّزك سِيد سِيدُه! | 18 |
| أحدث النظريات في الحب | 22 |
| المقامة الحَلنْجِيّة | 26 |
| أحلى العيون عين زبيدة | 31 |
| أنا زبّي زيّك | 35 |
| إني نذرت لك ما في بطني | 39 |
| أيوه.. بانام مع خالي! | 42 |
| واعية وعارفة الدنيا | 47 |
| الإيمان بالألب.. مش بالحجاب! | 52 |
| التي غلبت الشيطان | 56 |
| ولئن لم يفعل.. هاخرب بيته | 60 |
| الBOY بتاعنا | 64 |
| مرَة بميت راجل | 68 |
| وأسلمت مع سليمان | 70 |
| وقالت: الله لا يرحمك يا بابا | 73 |
| حبيبتي.. زوجتي | 76 |
| رجالٌ طراطير | 77 |
| حبيبي.. زوجي | 80 |
| زي أخوها! | 82 |

| | |
|---|---|
| شِي يا حمارة | 86 |
| صاحبة العصمة الأسطى لهلوبة العالمة | 90 |
| ع الهوا يا رسول الله | 95 |
| على استحياء قالت | 99 |
| كلم ربك بالموبايل | 103 |
| لا أحل لك أن تفض الخاتم | 105 |
| أم سهيل رحمها الله | 109 |
| دا شيخ وسره باتع | 113 |
| مولد سيدي فالنتين | 117 |
| نزار قباني | 121 |
| هاو تو نو ذ دفرنس؟! | 128 |
| ورود برائحة الزفت | 132 |
| وفتَّحت الأبواب، وقالت: هَيْتَ لكم أجمعين | 135 |
| يا ريت.. فين سي السيد ده؟ | 138 |
| من أعمال المؤلف | 142 |